The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Postgraduate
Faculty of Oussoul Eddine
Department of Interpretation & sciences of Quran

الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الصحابة والصحابيات في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

The Male and Female Companions in the Light of the Noble Quran

" An Objective Study "

إِعدَادُ البَاحِثَة

حنين خليل بركة

إِشرَافُ

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود هاشم عنبر

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ في التفسير وعلوم القرآن من كلية أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

أكتوبر/ 2017م _ محرم/1439هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الصحابة والصحابيات في ضوء القرآن الكريم

((دراسة موضوعية))

The Male and Female Companions in the Light of the Noble Quran

" An Objective Study "

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**حنين خليل بركة**	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2017/10/24م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **حنين خليل جابر بركة** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الصحابة والصحابيات في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 04 صفر 1439هـ، الموافق 2017/10/24م الساعة التاسعة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمود هاشم عنبر	مشرفاً و رئيساً
أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	مناقشاً داخلياً
د. ماجد رجب سكر	مناقشاً خارجياً

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد تطرقت في هذه الرسالة الموسومة بـ " **الصحابة والصحابيات في ضوء القرآن الكريم_ دراسة موضوعية**" إلى جملة من الموضوعات المهمة التي تبرز أثر الصحابة الكرام وذكرهم في القرآن الكريم وما تحلوا بها من فضائل، حيث يتكون هذا البحث العلمي من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وهي كالآتي:

التمهيد: وقدمَّت فيه تعريف الصحابة لغةً واصطلاحاً ثم ذكرت الصحابة رضي الله عنهم في السياق القرآني.

الفصل الأول: صفات الصحابة وفضائلهم في القرآن الكريم حيث يتكون من مبحثين، المبحث الأول تطرقت فيه إلى "صفات الصحابة في القرآن الكريم" ثم تناولت في المبحث الثاني " فضائل الصحابة في القرآن الكريم".

الفصل الثاني: تحدثت في هذا الفصل من هذه الرسالة عن الصفات التي وصف بها القرآن الكريم الصحابيات في مبحثين، المبحث الأول "صفات الصحابيات أمهات المؤمنين"، وأما المبحث الثاني تناولت فيه " صور حفظ الله تعالى لأمهات المؤمنين".

الفصل الثالث: حيث تناولت فيه بعض نماذج الصحابة والصحابيات في القرآن الكريم، ويتكون من مبحثين: تطرقت في المبحث الأول إلى" نماذج من الصحابة في القرآن الكريم"، أما المبحث الثاني فقد تناول" نماذج من الصحابيات في القرآن الكريم".

الفصل الرابع: ويتضمن مبحثين: المبحث الأول تحدثت فيه عن فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا"، أما المبحث الثاني فهو " فضل الله على الصحابة والصحابيات في الآخرة.

وأخيراً الخاتمة التي تضمنت أهم النتائج والتوصيات، وقد اشتمل البحث على مجموعة من الفهارس والتي خدمت البحث خدمة جيدة، هذا والله أسأل العون والتوفيق والإخلاص والقبول.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

Abstract

All Praise is due to Allah alone, and prayers and peace be upon the Final Prophet Mohammed. To proceed:

This thesis entitled "**The Male and Female Companions in the Light of the Noble Quran- An Objective Study**" tackled a set of important topics that highlight the impact of the honorable Companions, their mention in the Noble Quran, and their virtues in the fields of actions and manners. This research consists of a preface, four chapters and a conclusion, as follows:

The preface: This included the linguistic and applied definition of the Companions. This also included the way of mentioning the Companions in the Noble Quran.

The first chapter: This chapter included two sections, in the first section, the study discussed the topic of "the qualities of the Companions as mentioned in the Noble Quran". In the second section, the study discussed the topic of "The virtues of the Companions in the Noble Quran".

The second chapter: This chapter discussed the qualities granted to the female Companions in the Noble Quran through two sections. The first section is entitled "Qualities of the female Companions, mothers of the believers". As for the second section of this chapter, it presented "the aspects of Allah's guardian of the mothers of the believers".

The third chapter: This chapter presented some examples mentioned in the Holy Quran, and included two sections: In the first section, the research presented some "examples of the male Companions mentioned in the Noble Quran". In the second section, the research presented some "examples of the female Companions mentioned in the Noble Quran".

The fourth chapter: This chapter includes two sections: the first section discussed "the bounty of Allah upon the male and female Companions in this world". The second section discussed "the bounty of Allah upon the male and female Companions in the Hereafter".

The study concluded with a conclusion that included the most important findings and recommendations. The study also included a set of indexes, which served the topic in a well-manner. I ask Allah to grant me aid, correctness, sincerity, and acceptance.

May Allah's Peace and Blessings be upon His Prophet Mohammad, and his family and companions

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهَّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهَّ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾

[الفتح:29].

اْلإهدَاْءُ

- إلى حبيبنا وقدوتنا رسولنا محمد ﷺ، وآله وصحبه الطاهرين الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
- إلى نهر الحب والحنان، إلى نبع الخير والأمان، إلى التي أضاءت طريقنا، وجعلتنا كباراً ونحن صغارٌ بأخلاقها، وحسن تربيتها، أمي الحنونة؛ حفظها الله ورعاها.
- إلى الذي ملأ عليَّ الدنيا حباً وعطفاً ورعاية ومحبة، إلى الذي أدبني وعلمني ورباني، أبي الغالي؛ حفظه الله ورعاه.
- إلى الذي شاركني آمالي وشاطرني همومي، وصبر على انشغالي، رفيق الدرب زوجي الغالي؛ حفظه الله ورعاه.
- إلى مهجة قلبي وقرة عيني ولديَّ الذَيْن زاحمهما البحث حقهما " المعتصم بالله" و " نور"، أسأل الله أن يحفظهما ويتولى رعايتهما.
- إلى حلقة المحبة التي لا تنفك، وروح الأخوة الصادق الذي لا ينتهي، إلى إخواني وأخواتي الأعزاء، إلى من تعلمت منهم وأنا أصغرهم سناً كيف أكون أختاً وصديقةً، أسأل الله أن يحفظهم جميعاً.
- إلى كل عالم وطالب علم جعل همه أن ينفع الأمة، ويرفع شأنها بين الأمم.
- إلى حماة الثغور، رهبان الليل، وفرسان النهار، أسود الميدان أبناء الطائفة المنصورة.
- إلى كل أصدقائي وأحبتي وأهلي الذين لم يبخلوا عليَّ بنصحٍ أو عونٍ أو دعاءٍ.

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

شكرٌ وتقديرٌ

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...**﴾ سورة إبراهيم: الآية 7.

الحمد لله الذي وهبني التوفيق والسداد، ومنحني الرشد والثبات، وأعانني على كتابة البحث وإنجازه على وجه أرجو أن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

اعترافاً بالفضل، وشكراً لأهله، متعظةً بقوله ﷺ: **(لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)** [1]. فإنني أتقدم بخالص الشكر وبالغ التقدير لأستاذي الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور/ **محمود هاشم عنبر** _ حفظه الله _ الذي كرَّمني بتفضله وقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما أبداه من نصحٍ وإرشاد، وتصويبٍ للأخطاء خلال إنجازي لهذا البحث.

كما وأتقدم بمزيد من الشكر والتقدير إلى كلٍ من أستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ زكريا الزميلي ... حفظه الله " مناقشاً داخلياً ".

وفضيلة الدكتور/ ماجد سكر ... حفظه الله " مناقشاً خارجياً ".

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة فجزاهم الله خيراً على ما بذلاه من جهد ووقت في مراجعتها وتصويبها وإسهامهما في إثرائها بمقترحاتهم السديدة.

كذلك الشكر الجزيل لأساتذتي الكرام في قسم التفسير وعلوم القرآن، والشكر موصول لعمادة كلية أصول الدين ، كذلك نشكر الأخوة القائمين على المكتبة المركزية، والشكر الكبير لجامعتنا الإسلامية ومزيداً من التقدم والازدهار.

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أهلي وأصدقائي وأحبتي على دعمهم ومساعدتهم لي، فبارك الله فيهم جميعاً، وجزاهم الله كل خير.

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج255/4، رقم الحديث4811؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج776/1، رقم الحديث 416.

فهرس المحتويات

إقـــرار.....ب
نتيجة الحكم.....ت
ملخص الرسالة.....ث
Abstract..... ج
ٱلإهدَاْءُ ..... خ
شكرٌ وتقديرٌ.....د
فهرس المحتويات.....ذ
مقدمة.....1
أهمية الموضوع.....2
أسباب اختيار الموضوع:.....2
أهداف البحث وغاياته:.....2
الجهود السابقة:.....3
منهجية الباحثة: 3
خطة البحث:.....4
التمهيد.....6
أولاً: تعريف الصحابي لغة: 7
ثانياً: تعريف الصحابي اصطلاحاً 8
ثالثاً: الصحابة في السياق القرآني تصريحاً وتلميحاً.....9
الفصل الأول صفات الصحابة وفضائلهم في القرآن الكريم 24
المبحث الأول صفات الصحابة في القرآن الكريم.....25
المطلب الأول: الرجولة والصدق على ما عاهدوا الله عليه 25
المطلب الثاني: الشدة على الكفار والرحمة فيما بينهم.....26
المطلب الثالث: سيماهم في وجوههم من أثر السجود 28
المطلب الرابع: حبهم لمن هاجر إليهم وإيثارهم على أنفسهم.....29
المطلب الخامس: رضى الله عنهم ورضاهم عن الله تعالى.....31
المطلب السادس: الإيمان الحق.....33

المبحث الثاني فضائل الصحابة في القرآن الكريم 35
المطلب الأول: إيواؤهم ونصرهم لرسول الله ﷺ وأصحابه..... 35
المطلب الثاني: الجهاد بالأموال والأنفس..... 37
المطلب الثالث: الهجرة في سبيل الله..... 41
المطلب الرابع: إيتاء الزكاة ابتغاء وجه الله..... 44
الفصل الثاني صفات الصحابيات أمهات المؤمنين وصور حفظ الله لهن..... 46
المبحث الأول صفات الصحابيات أمهات المؤمنين..... 47
المطلب الأول: القنوت لله ورسوله وعمل الصالحات..... 47
المطلب الثاني: القول المعروف وعدم الخضوع بالقول..... 48
المطلب الثالث: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله..... 50
المطلب الرابع: تطهير الله لهن وإذهاب الرجس عنهن 51
المطلب الخامس: تذكُّر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله..... 54
المبحث الثاني صور من حفظ الله لهن وفضله عليهن..... **56**
المطلب الأول: القرار في البيوت وعدم التبرج تبرج الجاهلية..... 56
المطلب الثاني: عدم دخول بيوتهن بدون إذن 58
المطلب الثالث: سؤالهن من وراء حجاب..... 60
المطلب الرابع: حرمة نكاحهن بعد وفاة النبي ﷺ..... 63
المطلب الخامس: لبس الجلابيب الساترة وإدنائها عليهن 65
الفصل الثالث نماذج من الصحابة والصحابيات في القرآن الكريم..... 68
المبحث الأول نماذج من الصحابة في القرآن الكريم 69
المطلب الأول: أبو بكر الصديق ﷺ 69
المطلب الثاني: عبد الله بن أم مكتوم 73
المطلب الثالث: زيد بن حارثة..... 77
المطلب الرابع: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه..... 80
المطلب الخامس: عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه..... 83
المبحث الثاني نماذج من الصحابيات في القرآن الكريم..... 86
المطلب الأول: عائشة رضي الله عنها..... 86
المطلب الثاني : حفصة رضي الله عنها 94

المطلب الثالث : زينب بنت جحش رضي الله عنها..... 98
المطلب الرابع: خوله بنت ثعلبة رضي الله عنها..... 101
الفصل الرابع فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا والآخرة 105
المبحث الأول فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا 106
المطلب الأول: كان الله حسبهم وكافيهم..... 106
المطلب الثاني: الفلاح والخيرات في الدنيا..... 109
المطلب الثالث: النصر على الأعداء..... 111
المطلب الرابع: اصطفاء الشهداء منهم..... 116
المطلب الخامس: الرزق الكريم من الغنائم والفيء..... 119
المطلب السادس: رضى الله عنهم وإنزال السكينة على قلوبهم..... 125
المبحث الثاني فضل الله على الصحابة والصحابيات في الآخرة..... 129
المطلب الأول: عدم خزيهم أمام الأشهاد وسعي نورهم بين أيديهم 129
المطلب الثاني: الخلود في الجنة..... 131
الخـاتـمـة..... 135
أولاً: النتائج..... 135
ثانياً: التوصيات..... 136
مرآة المصادر والمراجع..... 137
الفهارس العامة..... 147
أولاً: فهرس الآيات القرآنية..... 148
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... 152

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حتى يرضى والحمد لله بعد الرضى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه أبداً إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد احتفى القرآن الكريم بالنبي الخاتم محمد ﷺ ، وبصحابته الكرام أيَّما احتفاء، فمدحهم الله بما هم له أهل قائلاً جلَّ في علاه: ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ (الفتح:29).

فالرسول محمد ﷺ هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وصحابته رضوان الله عليهم هم خير قرن على مر الزمان ديناً وخلقاً وعلماً وفقهاً والتزاماً وأدباً، فهم الذين آمنوا برسولهم ﷺ وصدقوه وآزروه ونصروه، وهم الذين أحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم، وجاهدوا معه بأموالهم وأولادهم، وصحابة رسول الله ﷺ ثلة مباركة، وهم الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وبُشروا بالجنة وهم على سطح الأرض لأنهم هجروا الدنيا، وهاجروا إلى الله بدينهم، تاركين زينتها خلف ظهورهم، وآثروا ما عند الله لأن ما عند الله خير وأبقى.

ونظراً لأن الناس في هذا الزمان قد فقدوا القدوة في أخصب مواطنها، وانغمس كثير منهم في حطام الدنيا ونعيمها الزائل وزينتها الزائفة، أردت من خلال هذا البحث استعراض صفات وفضائل هذه الثلة المباركة من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم لاستنهاض الهمم، وبعث العزائم في النفوس على الاقتداء بهم، والسير على دربهم، وانتهاج نهجهم، والتأسي بأخلاقهم وأعمالهم، فهم القدوة بعد رسول الله ﷺ التي عمرت الدنيا بأخلاقهم، وتعطرت بسيرتهم حيث اخترت بحثي بعنوان "**الصحابة والصحابيات في ضوء القرآن الكريم**" "**دراسة موضوعية**".

وسأتناول هذا الموضوع في إطار دراسة تفسيرية قرآنية محكَّمة حسب منهج التفسير الموضوعي.

أهمية الموضوع

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال ما يأتي:

1- الحديث عن الصحابة والصحابيات من الموضوعات التي تبعث الراحة في النفس والطمأنينة في القلب، لأنه يتحدث عن أناس أطهار تشرفوا بصحبة سيد الأبرار وإمام المصطفين الأخيار محمد ﷺ.
2- كما تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يبحث في فضائل الصحابة والصحابيات وتذكر مناقبهم بغية الاقتداء بهم والتأسي بأخلاقهم.
3- الافتقار إلى الشخصية الإسلامية القدوة في وقت غلبت فيه الشهوات وسيطرت الدنيا على العقول والقلوب.
4- حاجة الأمة في هذه الأيام للتعرف على صفات الصحابة التي أهلتهم لنصر الله ومعيته في الدنيا.

أسباب اختيار الموضوع:

1- بيان فضل الصحابة والصحابيات وإظهار فضل الله عليهم في الدنيا والآخرة.
2- افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوع قرآني يتناول موضوع الصحابة والصحابيات في إطار دراسة تفسيرية محكَّمة.
3- انحراف العديد من أبناء الأمة عن الصراط المستقيم والطريق القويم وحاجتهم الماسة إلى الاقتداء بالجيل الأول الذين سادوا وفازوا بأخلاقهم وأعمالهم.
4- تشجيع مشرفي الأستاذ الدكتور محمود عنبر على البحث في هذا الموضوع.

أهداف البحث وغاياته:

للبحث أهداف عديدة وغايات سامية أذكر أهمها:

1- ابتغاء مرضاة الله أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.
2- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع قرآني محكَّم تفتقر إليه.
3- إبراز فضائل الصحابة وصفاتهم على اعتبار أنهم القدوة الأولى بعد رسول الله ﷺ.

4- دفع الشبهات عن الصحابة والصحابيات والتي يثيرها أعداء الإسلام وبعض من ينتمون إلى الأمة زوراً وبهتاناً.

الجهود السابقة:

بعد البحث في المكتبات العامة والمراكز البحثية لم أجد دراسة جامعة تكلَّمت بشكل مخصوص عن هذا الموضوع من خلال القرآن الكريم، ولكني وقفت على بعض الأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع من بعض جوانبه مثل:

1- عدالة الصحابة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات _ عماد السيد الشربيني_ دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2006م، حيث تطرق المؤلف في رسالته إلى صفة من صفات الصحابة رضوان الله عليهم.
2- فضائل الصحابة في القرآن الكريم _ السيد أحمد الهاشمي_ دار الصحابة للنشر والتوزيع، 2007م، وفيه تحدث عن بعض فضائل الصحابة التي ذكرت في القرآن الكريم.
3- فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مختصر لفضائلهم جملة كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية_ ملا خاطر، خليل إبراهيم، دار القبلة للثقافة الاسلامية، 1999م.

هذا ما وقفت عليه من الكتب التي تخدم موضوعي بعد البحث والتنقيب، وهذه الكتيبات عبارة عن لمحة عابرة في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، أما هدفي من البحث أن أقف على معظم فضائلهم وصفاتهم في القرآن الكريم بالإضافة إلى بيان الآيات التي ذكرها القرآن الكريم عن الصحابة تصريحاً وتلميحاً.

منهجية الباحثة:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي خلال البحث وذلك وفق الخطوات التالية:

1- جمع الآيات التي تتحدَّث عن الصحابة والصحابيات الكرام تصريحاً أو تلميحاً أو بأسباب النزول؛ ثم توزيعها على عناوين البحث.
2- الاستعانة بمصادر التفسير القديمة والحديثة بالإضافة إلى المراجع العامة التي تتناول موضوع الصحابة والصحابيات.
3- توثيق ما تمَّ نقله من نصوص وأقوال بدقة وعناية والتزام الأمانة العلمية.
4- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر اسم السورة ورقمها وكتابتها في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي.

5- توزيع المادة العلمية على فصول ومباحث ومطالب.
6- بيان معاني المفردات الغريبة بالرجوع إلى المعاجم اللغوية الأصلية.
7- تخريج الأحاديث الواردة ونقل حكم العلماء عليها إن لم ترد في الصحيحين، أو في أحدهما.
8- ربط الموضوع بالواقع المعاصر إن أمكن، واستخلاص العبر والعظات من الآيات.
9- الترجمة للأعلام المغمورين عند ورودهم في البحث لأول مرة.
10- عمل الفهارس اللازمة والتي خدمت البحث مثل:
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

خطة البحث: وقد اشتملت على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة:

وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وغاياته والدراسات السابقة ومنهجية البحث وخطته.

التمهيد

وفيه:

أولاً: تعريف الصحابة لغة

ثانياً: تعريف الصحابة اصطلاحاً

ثالثاً: الصحابة والصحابيات في السياق القرآني

1- الصحابة والصحابيات تصريحاً

2- الصحابة والصحابيات تلميحاً

الفصل الأول: صفات الصحابة وفضائلهم في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الصحابة في القرآن الكريم

المبحث الثاني: فضائل الصحابة في القرآن الكريم

الفصل الثاني: صفات الصحابيات أمهات المؤمنين وصور حفظ الله لهن

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الصحابيات أمهات المؤمنين

المبحث الثاني: صور من حفظ الله لهن وفضله عليهن

الفصل الثالث: نماذج من الصحابة والصحابيات في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج من الصحابة في القرآن الكريم

المبحث الثاني: نماذج من الصحابيات في القرآن الكريم

الفصل الرابع: فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا والآخرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا

المبحث الثاني: فضل الله على الصحابة والصحابيات في الآخرة

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس: وتشتمل على:

1- فهرس الآيات القرآنية

2- فهرس الأحاديث النبوية

3- فهرس الأعلام المترجم لهم

4- فهرس المصادر والمراجع

5- فهرس الموضوعات

التمهيد

التمهيد

أولاً: تعريف الصحابي لغة

قال ابن فارس[1] :" الصَّادُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ، مِنْ ذَلِكَ الصَّاحِبُ، وَالْجَمْعُ: الصَّحْبُ، كَمَا يُقَالُ: رَاكِبٌ وَرَكْبٌ" [2].

وهو منسوب إلى الصحابة _ كالأنصاري منسوب إلى الأنصار_، وهي مصدر صَحِبَ يَصْحَب صُحْبَةً بمعنى لازم ملازمة ورافق مرافقة وعاشر معاشرة [3].

والأصل في هذا الإطلاق_ أي إطلاق اسم الصحبة من حيث اللغة_ لمن حصل له رؤية ومجالسة، ووراء ذلك شروط للأصوليين، ويطلق مجازاً على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة، فيقال: أصحاب الشافعي، وأصحاب أبي حنيفة، وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه[4].

فيستفاد من ذلك أن الصحبة تكون بمعنى الملازمة والمرافقة ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ في حديث الهجرة: " الصحابة بأبي أنت يا رسول الله"[5].

فمن خلال المعاني اللغوية السابقة يتبين للباحثة أنَّ الصحبة تنحصر في مقارنة الشيء ومقاربته، كما تأتي بمعنى الملازمة والمرافقة والمعاشرة والملاءمة، كما تطلق الصحبة على كل من اجتمعوا واتفقوا على مذهبٍ واحدٍ أو ساروا على طريقةٍ واحدة.

وبهذا يتضح أن معنى " الصحابي " في اللغة يطلق على من طالت صحبته أو قصرت.

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني ثم الرازي، اللغوي، الأديب، الكاتب، الشاعر، الفقيه، وَكَانَ رَأْساً فِي الأَدب، بَصِيْراً بفقهِ مَالِك، مُنَاظراً مُتَكَلِماً عَلَى طريقَةِ أَهْلِ الحَقّ، وَمَذْهَبُهُ فِي النَّحْوِ عَلَى طريقَةِ الكُوْفِيِّين، جمع إِتْقَانَ العِلْم إِلَى ظَرْفِ أَهْل الكِتَابَةِ وَالشّعر، وَلَهُ مُصَنَّفَات، وَرسَائِلُ ، وَتَخَرَّجَ بِهِ أَئِمَّة، توفي في صفر سنة 395 هـ. انظر، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج103/17، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعد، ج242/1.

(2) مقاييس اللغة، ج335/3.

(3) انظر، "لسان العرب"، ابن منظور، ج519/1؛ " القاموس المحيط"، الفيروز أبادي، ص154؛ " الصحاح تاج اللغة"، الجوهري، ج161/1؛ " تاج العروس"، الزبيدي، ج186/3.

(4) انظر، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ج333/1.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ج58/5، رقم الحديث 3905.

ثانياً: تعريف الصحابي اصطلاحاً

تباينت آراء العلماء في تعريف الصحابي وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الصحابي عند المحدِّثين

عرفه الإمام البخاري بقوله: " من صحب النبي ﷺ، أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[1].

وعرفه الإمام أحمد بن حنبل بأنه: " كل من صحب النبي ﷺ سنةً، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعةً، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه"[2].

ثانياً: تعريف الصحابي عند الأصوليين

عرَّف الأصوليون الصحابي بقولهم: "هو من طالت صحبته للنبي ﷺ، متبعاً له مدة يثبت معها من غير تحديد بزمن معين، وقدره بعضهم سنة أو غزوة" [3].

ويعرف الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني[4] الصحابي بقوله: " الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على ذلك" [5].

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج3/7.

(2) الكفاية في علم الرواية، أبو بكر البغدادي، ص51.

(3) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ج190/6؛ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، ابن الصلاح، ص 486؛ التقرير والتحبير، ابن أمير حاج، ج261/2.

(4) الحافظ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، ثم المصري، الشافعي، قاضي القضاة شيخ الإسلام، فريد زمانه، وحامل لواء السنة في أوانه، له الحفظ الواسع الذي إذا وصفته فحدث عن البحر ابن حجر ولا حرج، ولد سنة 773هـ، وعني بالأدب والشعر حتى برع فيهما ونظم الكثير فأجاد، وكتب الخط المنسوب. ثم حبب إليه فن الحديث فأقبل عليه سماعاً وكتابةً وتخريجاً وتعليقاً وتصنيفاً، وقد برع في كثير من الفنون، ومن تصانيفه " فتح الباري شرح البخاري " و " تقريب الغريب في غريب صحيح البخاري "، وتوفي في القاهرة سنة852هـ. انظر، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج92/1-93، نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، ج45/1، الأعلام، الزركلي، ج178/1.

(5) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج158/1.

فبالنظر في التعريفات السابقة ترى الباحثة أن تعريف ابن حجر للصحابي هو التعريف المختار لأنه تعريف ضابط وحاصر وذلك من ناحيتين:

1- أن التعريف اشترط ملاقاة النبي ﷺ مؤمناً به فقط.

2- لم يشترط التعريف مدة للصحبة، بل اعتبر كل من لقي النبي ﷺ صحابياً من غير تحديد لمدة الملاقاة.

ثالثاً: الصحابة في السياق القرآني تصريحاً وتلميحاً

استعرضت الباحثة آيات القرآن الكريم التي تعرَّضت لأصحاب رسول الله ﷺ تصريحاً وتلميحاً، وخلصت بالآتي:

الصحابة في السياق القرآني تصريحاً

ذكر القرآن الكريم الصحابي زيد بن حارثة رضي الله عنه تصريحاً في قوله تعالى:﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا** ﴾ سورة الأحزاب:37.

سبب نزول الآية: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَعَنْ ثَابِتٍ: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ**﴾ [الأحزاب: 37]، «نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ»[1]، وفي رواية أخرى للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} [الأحزاب: 37] نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ "[2].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود، 7]، ج124/9، رقم الحديث7418.

(2) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ...}، ج117/6، رقم الحديث4787.

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ [الأحزاب:37]، قَالَ: فَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»[1].

الصحابة في السياق القرآني تلميحاً

لقد ذكر القرآن الكريم ثلة من أصحاب رسول الله ﷺ تلميحاً على النحو التالي:

1- **سيدنا أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: وردت في شأنه عدد من الآيات الكريمة؛ وهي:

- **وقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** سورة النور:22.

سبب نزول الآية: بعدما وقعت حادثة الإفك، وكان فيمن وقع في الإثم مسطح بن أثاثة، حيث كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه، ولما نزلت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد ما قاله لعائشة، فأنزل الله تعالى الآية، وقد أخرج ذلك الإمام البخاري في صحيحه من حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا... ثم قالت رضي الله عنها، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا" [2].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، ج354/5، رقم الحديث3213. وقال عنه؛ «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا}...، ج101/6، رقم الحديث4750.

2- **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه

موافقات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع القرآن:

• **اتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مصلى، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** سورة البقر: 125.

• **رأيه في الحجاب وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾** سورة الأحزاب:59.

• **معاتبته لبعض أزواج النبي ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾** سورة التحريم:5.

سبب نزول الآيات السابقة "موافقات عمر رضي الله عنه": أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، " وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125] وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ)، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ "[1]. وفي رواية أخرى عند البخاري عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: " وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلاَثٍ، أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلاَثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِالحِجَابِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، قُلْتُ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺخَيْرًا مِنْكُنَّ نِسَاءَهُ، حَتَّى تَعِظَهُنَّ أَنْتَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ) الآيَةَ "[2].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة...، ج89/1، رقم الحديث402.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى}، ج20/6، رقم الحديث4483.

- **رأيه في أسرى غزوة بدر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**سورة الأنفال:67.

سبب نزول الآية: عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»...قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ – وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: 67] إِلَى قَوْلِهِ {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} [الأنفال: 69] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ [1].

- **رأيه في ترك الصلاة على المنافقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ* فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا**

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، ج1383/3، رقم الحديث1763.

وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة التوبة:80-84.

سبب نزول الآيات: أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث عبدالله ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ، جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ، فَقَالَ: «آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ»، فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى المُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: " أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ، قَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: 80] " فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا، وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: 84][1].

3- **علي بن أبي طالب** ﷺ، **حيث نزل فيه:**

- **قوله تعالى:﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾** سورة الحج:19.

سبب نزول الآية: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ قَيْسٌ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: 19] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَعُبَيْدَةُ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ "[2].

وفي رواية عند مسلم في صحيحه، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: 19] «إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ»[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ الكَفَنِ فِي القَمِيصِ الَّذِي يُكَفُّ أَوْ لاَ يُكَفُّ، وَمَنْ كُفِّنَ بِغَيْرِ قَمِيصٍ، ج76/2، رقم الحديث1269.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، ج98/6، رقم الحديث4744.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التفسير، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى، {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، ج2323/4، رقم الحديث3033.

4- **سعد بن أبي وقَّاص ﷺ، نزل فيه:**

- **قوله تعالى:** ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (سورة الأنفال:1).

سبب نزول الآية: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ: أَصَبْتُ سَيْفًا، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، ثُمَّ قَامَ، فَقَالَ: نَفِّلْنِيهِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «ضَعْهُ»، فَقَامَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، أَؤُجْعَلُ كَمَنْ لَا غَنَاءَ لَهُ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: 1] (1).

- **قوله تعالى:**﴿ **وَوَصّيْنَا الإنْسانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أمُّهُ وَهْناً على وَهْن وفِصَاله في عامَيْن أن اشْكُر لي ولوالدَيْكَ إليّ المَصير وأن جاهَدَاك على أن تُشْرِك بِي ما لَيْسَ لك بِهِ عِلم فلا تُطِعْهما وصَاحِبْهُما في الدنيا مَعْروفا واتّبِع سَبيل مَنْ أنابَ اليّ ثُمّ إليّ مَرْجِعكم فَأنَبّئكم بما كُنْتُم تعملون**﴾ سورة لقمان: 14-15.

سبب نزول الآية: عن مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي} وَفِيهَا {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: 15] قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ ، فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ، فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» فَانْطَلَقْتُ، حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لَامَتْنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ، قَالَ فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قَالَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: 1] قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّﷺ فَأَتَانِي، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ، قَالَ فَأَبَى، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ، قَالَ فَأَبَى، قُلْتُ: فَالثُّلُثَ، قَالَ فَسَكَتَ، فَكَانَ، بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا. قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٌّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ. قَالَ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ. فَقُلْتُ:

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال، ج1367/3، رقم الحديث 1748.

الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي، بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ – يَعْنِي نَفْسَهُ – شَأْنَ الْخَمْرِ: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: 90] (1).

5- **صهيب الرومي ﷺ، نزل فيه:**

- **قولـه تعـالى:﴿ومِـنَ النّـاسِ مَـنْ يَشـري نَفْسـه ابتِغـاءَ مَرْضَـاةِ اللّـهِ، واللّـهُ رَءُوفٌ بِالعِبَـاد﴾** سورة البقرة: 207.

سبب نزول الآية: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: أَقْبَلَ صُهَيْبٌ مُهَاجِرًا نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَاتَّبَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَنَثَرَ مَا فِي كِنَانَتِهِ وَأَخَذَ قَوْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلًا، وَايْمُ اللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِيَ بِمَا فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، ثُمَّ افْعَلُوا ما شئتم قالوا: دُلَّنَا عَلَى بَيْتِكَ وَمَالِكَ بِمَكَّةَ وَنُخْلِي عَنْكَ، وَعَاهَدُوهُ إِنْ دَلَّهُمْ أَنْ يَدَعُوهُ فَفَعَلَ. فَلَمَّا قدم على النبي – ﷺ – قَالَ: "أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ رَبِحَ الْبَيْعُ"، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ}(2)، وأخرج الحاكم في مستدركه عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ} «نَزَلَتْ فِي صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ، وَأَبِي ذَرٍّ، وَإِنَّ الَّذِي أَدْرَكَ صُهَيْبًا بِطَرِيقِ الْمَدِينَةِ قُنْفُذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جُدْعَانَ» ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَزَعَمَ عِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، «أَنَّ صُهَيْبًا افْتَدَى مِنْ مَكَّةَ أَهْلَهُ بِمَالِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مُهَاجِرًا، فَأَدْرَكُوهُ بِالطَّرِيقِ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ مَالِهِ»(3).

6- **أنس بن النضر ﷺ، ونزل فيه:**

- **قوله تعالى:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾** سورة الأحزاب:23.

سبب نزول الآية: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ج1877/4، رقم الحديث1748.

(2) أسباب النزول، الحميدان، ص، 66.

(3) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج453/3، رقم الحديث 5707. وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَى ابْنِ جُرَيْجٍ. ج318/6، رقم الحديث10851.

صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، - يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] إِلَى آخِرِ الآيَةِ "[1]. وفي رواية أخرى عند البخاري، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " نُرَى هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ: {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: 23] "[2].

7- **عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ، ونزل فيه:**

- **قوله تعالى:** ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ سورة آل عمران: 169-170.

سبب نزول الآية: عن طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: لَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي: "يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا"؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، فَقَالَ: "أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ"؟ قلت: بلى يا رسول اللَّهِ، قَالَ: "مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إلا من وراء حجاب، وإن الله أحيى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ أُعْطِكَ، قَالَ: تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ قَتْلَةً ثَانِيَةً، قَالَ اللَّهُ: إِنِّي قَضَيْتُ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ"، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:169] "[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى، {مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...}، ج19/4، رقم الحديث2805.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر...}، ج116/6، رقم الحديث4783.

(3) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كِتَابُ إِخْبَارِهِ ﷺ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا كَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُ كِفَاحًا"، ج491/15، رقم الحديث7022. وحسنه الألباني في، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج134/10، رقم الحديث6983.

8- **كعب بن مالك ومن تخلف معه عن غزوة تبوك، وذلك في:**

- **قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** سورة التوبة: 117-119.

سبب نزول الآية: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ...، فَلَمَّا صَلَّيْتُ الفَجْرِ صَلاَةَ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً

إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ : {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ} [التوبة: 117] إِلَى قَوْلِهِ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا – حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ – شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ} [التوبة: 95] إِلَى قَوْلِهِ {فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ} [التوبة: 96]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: 118]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ [1]. وفي رواية أخرى للبخاري، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ " فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ : {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ، وَالأَنْصَارِ} [التوبة:117] إِلَى قَوْلِهِ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة:119] "[2].

9- **خباب بن الأرت ﷺ في حواره مع العاص بن وائل، ونزل فيه:**

- **قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾** سورة مريم: 77-80.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، ج6/3-7، رقم الحديث 4418.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، ج6/71، رقم الحديث4678.

سبب نزول الآية: عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ خَبَّابٍ، قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَرَاهِمُ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ: لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، فَقُلْتُ: «لاَ، وَاللَّهِ لاَ أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثَكَ»، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ أُبْعَثَ فَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا، ثُمَّ أَقْضِيَكَ فَنَزَلَتْ: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ: لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا} [مريم:77] الآيَةَ[1].

10- عُمير بن سعد ﷺ في حواره مع جُلاس بن سويد بن الصامت، ونزل فيه:

- **قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾** سورة التوبة:74.

سبب نزول الآية: عَن عبد الله بن الْفضل أَنه سمع أنس بن مَالك يَقُول: حزنت على من أُصِيب من أَهلِي بِالْحرَّةِ، فَكتب إِلَيّ زيد بن أَرقم – وبلغه شدَّة حزني – يذكر أَنه سمع النَّبِي ﷺ يَقُول: " اللَّهُمَّ اغْفِر للْأَنْصَار، ولأبناء الْأَنْصَار. " وَشك ابْن الْفضل فِي " أَبنَاء أَبنَاء الْأَنْصَار " فَسَأَلَ أنسا بعض من كَانَ عِنْده – عَن زيد – فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُول لرَسُول الله ﷺ : " هَذَا الَّذِي أوفى الله لَهُ بأذنه ". وزَاد البرقاني مُتَّصِلا بِالْحَدِيثِ: وَقَالَ ابْن شهَاب: سمع زيد بن أَرقم رجلاً من الْمُنَافِقين – وَرَسُول الله ﷺ – يَقُول: لَئِن كَانَ هَذَا حقاً فلنحن شرٌّ من الْحمير، فَقَالَ زيدٌ: قد، وَالله صدق، ولأنت شرٌّ من الْحمار، فَرفع ذَلِك إِلَى رَسُول الله ﷺ ، فَجحد الْقَائِل، فَأنْزل الله عز وَجل على رَسُوله: ﷺ {يحلفُونَ بِاللَّه مَا قَالُوا وَلَقَد قَالُوا كلمة الْكفْر وَكَفرُوا بعد إِسْلَامهمْ} [التَّوْبَة:74] فَكَانَ مِمَّا أنزل الله تَعَالَى هَذِه الْآيَة تَصْدِيقًا لزيد [2].

11- السيدة عائشة رضي الله عنها، ونزل فيها:

- **قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** سورة النور: 11-19.

سبب نزول الآيات: أخرج الإمام مسلم في صحيحه حادثة الإفك، فعن أمّ المؤمنين عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الخصومات، باب التقاضي، ج123/3، رقم الحديث2425.
(2) الجمع بين الصحيحين، أبو عبد الله بن أبي نصر، ج512/1، رقم الحديث 834.

سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي... فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ (الشدة) عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ(ليتصبب) مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[1]. مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ**﴾ مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى**﴾ إِلَى قَوْلِهِ:﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**﴾ [النور:22]، قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا[2].

---

(1) الْجُمَانِ، خرز من فضَّة فَارسي مُعرب وَقد تَكَلَّمت بِهِ الْعَرَب قَدِيما، وَقد سميت الدرة جمانة، انظر، جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، ج495/1. والمعنى، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن. انظر، شرح محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج2129/4: رقم الحديث 2770.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج2129/4، رقم الحديث2770.

12- **السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها، ونزل فيها:**

- **قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾** سورة التحريم:3.

سبب نزول الآيات: عن عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ، قال: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ[1]، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: 1]- إِلَى - {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحريم: 4] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} [التحريم: 3] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا»[2].

13- **السيدة عائشة والسيدة حفصة، وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم، ونزل فيهن:**

- **قوله تعالى:﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ* عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾**

سبب نزول الآيات: عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ، فَقُلْتُ: لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ، قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ، أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ وَاللهِ، لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، لَا يُحِبُّكِ، وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ الْمَشْرُبَةِ، مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ - وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ - فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ،

---

(1) المغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حُلو، غير أن رَائِحَته لَيست بطيّبة. انظر: تهذيب اللغة: الهروي، ج222/3.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الطلاق، بَابُ {لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}، ج44/7، رقم الحديث 5267.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ ، فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللهِ، لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا، لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا، وَرَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنِ ارْقَهْ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟»، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ، وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللهَ بِكَلَامٍ، إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم: 5]، {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم: 4]، وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

14- **خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، ونزل فيها:**

- **قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** سورة المجادلة: 1.

سبب نزول الآية: عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: فِيَّ – وَاللَّهِ – وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ، قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الطلاق، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى، {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}، ج1105/2، رقم الحديث1479.

خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَاتَّقِي اللَّهَ فِيهِ»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ لِي: «يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ» ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [البقرة: 104] ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ، قَالَ: «فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: «فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَاكَ عِنْدَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا» ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ"[1].

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج45/300-302، رقم الحديث 27319، وصحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب الطلاق، باب الظهار، ج10/107، رقم الحديث 4279. وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، كتاب الطلاق، باب الظهار، ج3/328، رقم الحديث 4265.

الفصل الأول
صفات الصحابة وفضائلهم
في القرآن الكريم

المبحث الأول

صفات الصحابة في القرآن الكريم

المطلب الأول: الرجولة والصدق على ما عاهدوا الله عليه

امتاز الصحابة رضوان الله عليهم بصفات عديدة منها الرجولة والصدق على ما عاهدوا الله عليه، وقد وردت هذه الصفات في سياق قوله تعالى:﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾ سورة الأحزاب: 23.

سبب نزول الآية: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، – يَعْنِي المُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ»، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب:23] إِلَى آخِرِ الآيَةِ "[1].

هذه الآية اشارة إلى وفاء الصحابة بعهدهم الذي عاهدوا الله أنهم لا يفارقون نبيه إلا بالموت، فمنهم من قضى أجله فقاتل حتى قتل فوفى بما عاهد عليه ربه سبحانه، ومنهم من هو بعد في القتال ينتظر الشهادة وفاء بالعهد، وما بدلوا وما غيروا بخلاف المنافقين فإنهم قالوا لا نولي الأدبار فبدلوا قولهم وولوا أدبارهم[2].

فالله تعالى أثنى على جميع المؤمنين الصادقين في إيمانهم على ثباتهم ويقينهم واستعدادهم للقاء العدو ، وعزمهم على بذل أنفسهم في سبيل الله ، وأعقب بالثناء على فريق منهم كانوا وفوا بما عاهدوا الله عليه، وفاء بالعمل والنية، ليحصل بالثناء عليهم بذلك ثناء على إخوانهم الذين لم يتمكنوا من لقاء العدو يومئذ ، ليبين سبحانه بذلك أن المقصود صدق النية

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي والسير، باب قوله تعالى، من المؤمنين رجال، ج19/4، رقم الحديث 2805.

(2) انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج163/25.

فصدق أولئك الأبرار الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه قد صرح بصدق غيرهم ممن بعدهم من المؤمنين الصادقين[1].

ويختلف موقف المؤمنين عن المنافقين بالوفاء بالعهد، فالمؤمنون صدقوا العهد مع الله تعالى، ووفوا بما عاهدوا الله عليه من الصبر في حال الشدة والبأس والقتال بصدق ويقين، فمنهم من انتهى أجله واستشهد ، ومنهم من ينتظر قضاء الله والشهادة وفاء بما عاهد عليه ربه سبحانه، وما بدَّلوا عهدهم وما غيروه، بخلاف المنافقين الذين ولَّوا الأدبار، وبدَّلوا الأقوال ونقضوا العهود، وهذا ثناء من الله على عباده المؤمنين الذين عاهدوا الله على الاستقامة التامة، فوفوا نذورهم وعهودهم، وبهذا ميَّز الله تعالى الصحابة الكرام بصفات تأهلهم لأن يكونوا حراس الدين والعقيدة، ومنها الصدق والرجولة، والتزام عهدهم مع الله تعالى.

المطلب الثاني: الشدة على الكفار والرحمة فيما بينهم

ومن صفات الصحابة رضوان الله عليهم في القرآن الكريم أنهم يمتازون بالشدة والصلابة على الكفار الذين جحدوا بوحدانية الله تعالى كما في قوله ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ [التوبة:123]، ومتحابون متراحمون متعاطفون فيما بينهم، كالجسد الواحد يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، كما جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[2].

فمن أبرز الآيات التي تؤكد هذه الصفة قوله تعالى:﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ...﴾ سورة الفتح: 29.

لقد أثنى الله تعالى في هذه الآية على أصحاب رسول الله بالثناء العاطر، وشهد لرسوله بصدق الرسالة فقال ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله**﴾ أي هذا الرسول المسمَّى محمداً هو رسولُ الله حقاً لا كما يقول المشركون، ﴿**والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ**﴾ أي وأصحابه الأبرار الأخيار الذين معه على دينه أشداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم، رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم؛ كما في قوله تعالى ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين**﴾ [المائدة: 54]، "أي يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة فلذلك ذلَّ أعداؤهم لهم،

---

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/306-307.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج4/1999، رقم الحديث2586.

وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة، قال المفسرون: وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿**وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾ [التوبة: 123] وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمسَّ أبدانهم، وكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه[1].

والشدة على الكفار هي شدة في محاربتهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح من الله تعالى، لأنَّ المؤمنين الذين مع النبي ﷺ كانوا هم فئة الحق وإظهار دين الله، فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله، وأصحاب النبي ﷺ هم أقوى المؤمنين إيماناً لإشراق نور الإسلام في قلوبهم، ومن ذلك ما كان منهم من كراهية الصلح مع الكفار يوم الحديبية، وما كانت رغبتهم في قتل أسراهم الذين ثقفوهم يوم الحديبية وعفا عنهم النبي ﷺ إلا من آثار شدتهم على الكفار، ولذلك كان أكثرهم محاورة في إباء الصلح يومئذ أشد أشدائهم على الكفار وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أفهمهم للمصلحة التي توخَّاها النبي ﷺ في إبرام الصلح أبو بكر الصديق رضي الله عنه [2].

فإرادة التكريم من الله للصحابة الكرام واضحة، وهو يقول في كتابه أنهم:﴿ ...**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ** ...﴾ أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الوصائل جميعاً، ابتغاء إقامة امر الله تعالى في الجهاد، رحماء بينهم تجمعهم أخوة إخوة دين، فهذه هي الشدة لله والرحمة لله، وهي الحمية لأجل للعقيدة، والسماحة لها، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم في الحب والبغض في الله ، يشتدون على أعدائهم فيها، ويلينون لإخوتهم فيها، قد تجردوا من الهوى، ومن الانفعال لغير الله، وتعلقوا بما الذي يوصلهم لمرضاة الله [3].

وقد وردت أخبار أخوتهم وتراحمهم في مواضع كثيرة من القرآن وكلام الرسول ﷺ .

وفي الجمع لهم بين صفتي الشدة والرحمة ، إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، ورشدهم وثبات أمرهم، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى:﴿ ...**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**... ﴾ (سورة المائدة:54) ، وأما كونهم: ﴿ **رُحَماءُ بَيْنَهُمْ**﴾ فقد ألقى الله تعالى في قلوبهم الرحمة، بعضهم ببعض، رفيقة قلوبهم ببعضهم، وهذا

---

(1) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج261/20، صفوة التفاسير، الصابوني، ج3/ 211.
(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج52/26.
(3) انظر، في ظلال القرآن، السيد قطب، ج3332/6.

من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في قلوبهم، والجمع بين صفتي الشدة والرحمة في نفوسهم إيماءً إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بعدم الرؤية [1].

لقد أكرم الله تعالى صحبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، بأعلى مراتب الأخلاق وأجلها، فكانت صفة الشدة على الكفار والرحمة فيما بينهم من أعظم صفات صدقهم مع الله تعالى، فتميزوا بذلك رضي الله عنهم وأرضاهم.

المطلب الثالث: سيماهم في وجوههم من أثر السجود

ومن الصفات التي وصف الله تعالى بها الصحابة الكرام أنهم دائمو الركوع والسجود ابتغاء رضوانه، فكان من أثر ذلك، سيمة نور العبادة تعلو وجوههم، وذلك في قوله تعالى:﴿...**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...**﴾ سورة الفتح:29.

أي تشاهدهم دائمي الركوع والسجود، وذلك من كثرة صلاتهم التي يرجون بها ثواب الله سبحانه لهم ورضاه عنهم، وقد أثَّرت العبادة –من كثرتها وحسنها– في وجوههم حتى استنارت بنور الإيمان يعلو وجوههم، ولما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالبهاء ظواهرهم، أي علامتهم المميزة لهم وجود النور والوقار في الوجه والسمت الحسن والخشوع [2].

وقال الرازي في تفسير هذه الآية:﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾ " لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم، وركوع المرائي وسجوده، فإنه لا يبتغي به ذلك، وفيه إشارة إلى معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال عن الراكعين الساجدين:﴿**لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [فاطر:30]، وقال الراكع يبتغي الفضل ولم يذكر الأجر، لأن الله تعالى إذا قال لكم أجر كان ذلك منه تفضُّلاً، وإشارة إلى أن عملكم جاء على ما طلب الله منكم، لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك، والمؤمن إذا قال أنا أبتغي فضلك يكون منه اعترافاً بالتقصير فقال: يبتغون فضلاً من الله ولم يقل أجراً " [3].

---

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج205/26.

(2) انظر، فتح القدير، الشوكاني، ج66/5، روح المعاني، الألوسي، ج277/13، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص795.

(3) مفاتيح الغيب، ج89/28.

وإيثار صيغة المضارع في قوله ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾ للدلالة على تكرر العبادة منهم بإخلاص وصدق، فتراهم كلما شئت أن تراهم ركعاً سجداً، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الطاعات المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها، وأنهم يطلبون بذلك رضى الله وثوابه، وفي هذا إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه ويرجونه من ثواب ورحمة[1].

أما قوله تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ سِيماهُمْ أي علامتهم فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، واختلفوا في هذه السيما على قولين: أحدهما: أن المراد في يوم القيامة قيل: هي نور وبياض في وجوههم يعرفون به يوم القيامة، أنهم سجدوا لله في الدنيا وهي رواية وقيل: تكون مواضع السجود في وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقيل: يبعثون غراً محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك، والقول الثاني: إن ذلك في الدنيا وذلك أنهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل، وقيل: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع[2].

وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار سبحانه لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع، أثره في ملامح الوجه، حيث تتلاشى الخيلاء والكبرياء، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة التي تزيد وجه المؤمن نوراً، ووضاءة وصباحة ونبلاً [3].

ومن رعاية الله وكرمه لهذه الصحبة الطاهرة، أن جعلهم من أسمى عباده تميزاً بطاعته سبحانه، فجعل سيما الإيمان تعلو وجوههم رضي الله عنهم.

المطلب الرابع: حبهم لمن هاجر إليهم وإيثارهم على أنفسهم

من صفات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم حبهم لمن هاجر إليهم من مكة مع رسول الله ﷺ وإيثارهم على أنفسهم وقد ورد ذلك في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ سورة الحشر:9.

---

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج205/26.

(2) انظر، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج172/4.

(3) انظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج3332/6.

قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**﴾ يعني الأنصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبل المهاجرين، يعني أنهم أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ ، يحبون من هاجر إليهم وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة وحزازة وغيظا وحسدا مما أعطي المهاجرين من الفيء دونهم، فطابت أنفس الأنصار للمهاجرين، ومع ذلك يؤثر الأنصار المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وحاجة وقوله تعالى:﴿ **وَيُؤْثِرُونَ على أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾، أي يفضّلون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الحاجة الفاقة إليه، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وفقر، وذلك غاية الإيثار[1].

وأما عن صفة إيثار الصحابة لبعضهم البعض فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ ...**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: 9] [2].

ومن صفات الأنصار التي تميزوا بها عن غيرهم، وفاقوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس في كل أمورها، وبذلها للغير مع الحاجة إليه، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي نقي تقي، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به سبحانه وتعالى، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق

---

(1) انظر، صفوة التفاسير، الصابوني، ج332/3.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله تعالى، "ويؤثرون على أنفسهم ...."، ج34/5: رقم الحديث 3798.

شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر والحرمان ، وخير من تجلى بهذه الصفات هم الصحابة الكرام ، الذين حازوا من الفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين[1].

شهد الله تعالى للصحابة الكرام بالفلاح لأنهم تميزوا بأخلاقهم، فكانت صفة الإيثار ومحبتهم لإخوانهم المؤمنين طريق فوزهم رضي الله عنهم أجمعين.

المطلب الخامس: رضى الله عنهم ورضاهم عن الله تعالى

ومن صفات الصحابة رضوان الله عليهم أنهم راضون عن الله تعالى والله راضٍ عنهم، ومن الآيات التي تبين رضى الله عنهم ما يلي:

1.قوله تعالى:﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ سورة الفتح:18.

هذه البيعة هي التي بايعها المسلمون للنبي ﷺ يوم الحديبية، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأول من بايع النبي ﷺ تحت الشجرة أبو سنان الأسدي، وتسمى بيعة الرضوان لقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وكان سبب هذه البيعة أن الرسول ﷺ أرسل عثمان بن عفان من الحديبية إلى أهل مكة ليفاوضهم في شأن المسلمين واعتمارهم بالبيت فأشيع بأن عثمان قتل فعزم النبي ﷺ على قتالهم، لذلك دعا من معه إلى البيعة على أن لا يرجعوا حتى يناجزوا القوم، ولم يتخلف أحد ممن خرج مع النبي ﷺ إلى الحديبية عن بيعة الرضوان إلا عثمان بن عفان إذ كان غائباً بمكة للتفاوض في شأن العمرة، ووضع النبي يده اليمني على يده اليسرى وقال: (هذه يد عثمان) ثم جاء عثمان فبايع، وقال لهم النبي ﷺ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ»[2] [3].

والصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ جعلت لهم هذه المكانة الرفيعة من خيري الدنيا والآخرة وهي رضى الله تعالى عنهم، وهذه بشارة من الله لهم، بشارة بمغانم كثيرة وفتوح عظيمة.

وقوله تعالى:﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم**﴾ " أي فعلم تعالى ما في قلوبهم من الصدق والوفاء عند مبايعتهم لرسول الله ﷺ على حرب الأعداء، ثم قال تعالى: ﴿ **فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم**﴾ أي رزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة، وأيضا هو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح

---

(1) انظر، تيسير الكريم المنان، السعدي، ص850.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج123/5: رقم الحديث4154.

(3) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج156/26.

بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال ﴿**وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا**﴾ "[1] سورة الفتح:19.

2. ومن الآيات التي تبين رضى الله عن الصحابة ورضاهم عن الله قوله تعالى:﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ سورة المجادلة:22.

نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا**﴾ أي من الممتنع المحال أن تجد قوماً مؤمنين يوالون المشركين، ولا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وهذا مبالغة في النهى عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية في مجانبة أعداء اللّه ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم، وزاد ذلك تأكيداً وتشديداً بقوله:﴿**وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ**﴾ وبقوله:﴿ **أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ**﴾ فلا تجد شيئاً أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء اللّه ومعاداة أعدائه، بل هو الإخلاص بعينه﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ**﴾ أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم، ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه**﴾ بلطفٍ من عندهِ أحيا به قلوبهم [2].

قوله تعالى: ﴿**وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ "أي ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا، ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم في الجنة، ﴿ **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ**﴾ أي أولئك الذين هذه صفتهم هم جند الله وأولياؤه، ألا إن جند الله وأولياءه هم المفلحون بإدراكهم ما طلبوا وتمنوا[3].

لقد فاز الصحابة الكرام بأسمى غاية، وهي الفوز برضوان الله تعالى، لما كان منهم من جهاد وصبر وتضحية في سبيل الله، رضوا بأمر الله فرضي الله عنهم.

---

(1) صفوة التفاسير، الصابوني، ج207/3.

(2) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج497/4.

(3) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج258/23.

المطلب السادس: الإيمان الحق

لقد شهد الله تعالى للصحابة رضي الله عنهم مهاجرين وأنصاراً بالإيمان الحق وذلك في قوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ سورة الأنفال: 74.

ذكر تعالى المؤمنين وقسمهم إلى ثلاثة أقسام: المهاجرين، الأنصار، الذين لم يهاجروا، فبدأ بالمهاجرين لأنهم أصل الإسلام وقد هجروا الديار والأوطان ابتغاء رضوان الله، وثنى بالأنصار لأنهم نصروا الله ورسوله وجاهدوا بالنفس والمال، وجعل بين المهاجرين والأنصار الولاية والنصرة ، لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضي، لحسنه وتنوعه[1].

فقوله تعالى:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**...﴾ يعني لا شك في إيمانهم ولا ريب؛ لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد، وبذل النفس والمال في نصرة الدين، ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** ﴾ يعني لذنوبهم ﴿ **وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ يعني في الجنة، ومن عظيم شأنهم أنه سبحانه وتعالى ذكر في الآية السابقة حكم ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً، ثم ذكر في هذه الآية ما منَّ به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل إن إعادة الشيء مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به، فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دلَّ ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لأنه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع:

أحدها: قوله: ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾ وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقاً.

النوع الثاني: قوله سبحانه وتعالى:﴿ **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ** ﴾ وتنكير لفظ المغفرة يدلُّ على أن لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم.

النوع الثالث: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى أن لهم في الجنة رزقا لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب.

---

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج99/4.

وقيل: إن المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً إلى المدينة وهم المهاجرون الأولون، ومنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فهم أصحاب الهجرتين، ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الأولى أصحاب الهجرة الأولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية، والله أعلم بمراده [1].

ووصف الله تعالى في هذه الآية للمهاجرين الأولين بأربع صفات: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والهجرة، والجهاد، وأولية الإقدام بهذه العبادات ، ووصف الأنصار بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا**﴾ أي آووا الرسول والمهاجرين إليهم، ونصروهم، فكانت المدينة عاصمة الإسلام ومنطلق الدعوة في أرجاء الأرض، وملجأ المهاجرين الذين عملوا مع الأنصار على نصرة دين الله والقتال معهم، وشارك الانصار المهاجرين في أموالهم، وآثروهم على أنفسهم، فكانوا في الفضل بعد المهاجرين، ثم وصفهم الله بأن بعضهم أولياء بعض، أي يتولى بعضهم أمر الآخر كما يتولَّى أمر نفسه، ويكون كل منهم أحق بالآخر من كل أحد لأن حقوقهم ومصالحهم مشتركة، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين إخوان، فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثاً مقدماً على القرابة، حتى تقوّى المهاجرون بالتجارة وغيرها، فنسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، فكان الإرث بين المهاجرين والأنصار بالإسلام والهجرة دون القرابة، فالمسلم في غير المدينة لا يرث المسلم الذي في المدينة وما حولها إلا إذا هاجر إليها، فيرث ممن بينه وبينه إخاء"[2].

لقد كان من جملة أخلاق الصحابة الكرام رضي الله عنهم، أنهم آمنو حق الإيمان، وهذا بشهادة الله تعالى لهم، فكانت هذه الصفة منبع الخير فيهم رضي الله عنهم.

---

(1) انظر، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج330/2.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج82/10.

المبحث الثاني

فضائل الصحابة في القرآن الكريم

المطلب الأول: إيواؤهم ونصرهم لرسول الله ﷺ وأصحابه

لقد تحدث القرآن الكريم عن فضل عظيم من فضائل الصحابة الكرام، وهو تأييدهم لرسول الله ﷺ ونصره، وهذا فضل خص الله به أول قرن في الإسلام، فهم خير القرون وخير الصحبة التي أيَّدت رسول الله ﷺ وآوته ونصرته، ويتبين ذلك من خلال الآيات الآتية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [الأنفال: 72].

بمعنى إن الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم به، وهجروا ديارهم وقومهم في سبيل الله عزَّ وجل وابتغاء رضوانه، وبذلوا أنفسهم في سبيل الله وطاعته _وهم المهاجرون الأولون_ ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا**﴾ يعني آووا رسول الله ﷺ ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله ﷺ _وهم الأنصار_ ﴿**أَوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ أي في العون والنصر دون أقربائهم من الكفار،وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون أقربائهم وذوي أرحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة، فتوارثوا بالأرحام حيثما كانوا فصار ذلك منسوخا بقوله تعالى﴿**وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ**﴾[الأنفال: 72][(1)].

وقوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله ، لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله ﷺ وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصالهم وتراحمهم بعضهم ببعض[(2)].

قال الألوسي في تفسير هذه الآية:" ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا**﴾ هم المهاجرون الذين هجروا أوطانهم وتركوها لأعدائهم في الله، لله عزّ وجل، ﴿**وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ**﴾ فصرفوها للكراع

(1) انظر، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج329/2

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص، 327.

[1] والسلاح وأنفقوها على المحاويج من المسلمين، ﴿**وَأَنْفُسِهِم**﴾ بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في لُجَج المهالك فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولعل تقديم الأموال على الأنفس لما أن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعاً وأتم دفعاً للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال، وقيل: ترتيب هذه المتعاطفات في الآية على حسب الوقوع فإن الأول الإيمان ثم الهجرة ثم الجهاد بالمال لنحو التأهب للحرب ثم الجهاد بالنفس ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا**﴾ هم الأنصار آووا المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وآثروهم على أنفسهم ونصروهم على أعدائهم"[2] .

ثانياً: قوله تعالى:﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[الحشر: 8].

وصف الله تعالى الصحابة الكرام في هذه الآية بعدِّة صفات أولها: أنهم فقراء، وثانيها: أنهم مهاجرون، وثالثها: أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يعني أن كفار مكة أحوجوهم إلى الخروج فهم الذين أخرجوهم، ورابعها: أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والمراد بالفضل ثواب الجنة والرضوان **قوله:** ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة: 72]، وخامسها: قوله: ﴿ **وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أي بأنفسهم وأموالهم ، وسادسها: قوله: ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم [3].

وهذه صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وحرموا أموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد من المشركين والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة، لا لذنب إلا أنهم آمنوا بالله وحده، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم. ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانا**﴾ اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، تركوا كل شيئ لأجل الله، فلا جناب لهم إلا حماه، وهم مع أنهم مطاردون قليلون يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات، ﴿**أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه وتركوا الدنيا، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه وحموه، صدقوا مع الله فصدقهم[4].

---

(1) الكراع: اسم يجمع أنواع الخيل. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد الأزدي، ص،44.

(2) روح المعاني، ج233/5.

(3) انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج507/29.

(4) انظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج3526/6.

ففي هذه الآية الكريمة وصف شامل للمهاجرين، أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، وأنهم هم الصادقون، فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر، ووصف الفريقين معاً بولاية بعضهم لبعض، وأثبت لهم معاً حقيقة الإيمان، وأولئك هم المؤمنون حقاً، الصادقون في إيمانهم، فاستوى الأنصار مع المهاجرين في عامل النصرة وفي صدق الإيمان[1].

وبهذا المدح الرباني المتتالي للصحابة الكرام يتبين عظم فضلهم، وكرامة منزلتهم عند الله تعالى، لما قدموه من نصرة نبيهم ودينهم، فكانوا بتأييدهم لرسول الله ﷺ حماة الدين ورعاة العقيدة فاستحقوا هذا الثناء المخلد إلى يوم الدين.

المطلب الثاني: الجهاد بالأموال والأنفس

بين الله تعالى فضلاً عظيماً من فضائل الصحابة الكرام وهو الجهاد بالأموال والأنفس، وهذا فضل عظيم خصَّ الله به هذه الجماعة؛ لأنهم بسيوفهم بنوا عز الاسلام، وهانت عليهم أنفسهم بل وكل ملذات الدنيا، من أجل نصر دين الله وإعلاء كلمته، فكان لهم هذا الشأن العظيم في الدنيا بإعلاء ذكرهم، وفي الآخرة بالفوز الكبير، ويتبين ذلك من خلال هذه الآيات:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20].

سبب نزول الآية: عن النعمان بن بشير، قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...**﴾ [التوبة: 19] الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا[2].

إنَّ من اتسم بصفات الإيمان بالله تعالى، والهجرة من بلاد الكفر إلى الإسلام، وجاهد في سبيل الله بالمال والنفس، أولئك أعظم منزلة وأرفع درجة عند الله في الآخرة ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام، وإنما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على

---

(1) انظر، أضواء البيان، الشنقيطي، ج42/8.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ج1499/3: رقم الحديث 1879.

الإطلاق على من سواهم، فهؤلاء الذين وصفنا صفتهم بأنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، ولذلك يبشرهم ربهم في الدنيا بما أعدَّه لهم في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم من لين العيش ورغده، والخلود والإقامة في دار كرامته، والله عنده ثواب جزيل لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله[1].

وقال الامام الرازي في تفسير هذه الآية: "إن الله تعالى ذكر ترجيح الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى على السقاية وعمارة المسجد الحرام، على طريق التعريض ثم أتبعه بذكر هذا الترجيح على سبيل التصريح في هذه الآية، فقال: إنَّ من كان موصوفاً بهذه الصفات الأربعة كان أعظم درجة عند الله ممن اتصف بالسقاية والعمارة وتلك الصفات الأربعة هي هذه: فأولها الإيمان، وثانيها الهجرة، وثالثها الجهاد في سبيل الله بالمال ورابعها الجهاد بالنفس، واعلم أنه تعالى لم يقل أعظم درجة من المشتغلين بالسقاية والعمارة لأنه لو عيَّن ذكرهم لأوهم أن فضيلتهم إنما حصلت بالنسبة إليهم، ولما ترك ذكر المرجوح، دلَّ ذلك على أنهم أفضل من كل من سواهم على الإطلاق، لأنه لا يعقل حصول سعادة وفضيلة للإنسان أعلى وأكمل من هذه الصفات"[2].

ولمَّا حكم الله تعالى في الآية المتقدمة بأن الصنفين لا يستوون بيَّن ذلك في هذه الآية الأخيرة وأوضحه، فعدد الإيمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس، وحكم أن أهل هذه الخصال أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ من جميع الخلق، ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه، والفوز بلوغ البغية إما في نيل رغبته أو نجاة من مهلكة، وينظر إلى معنى هذه الآية الحديث الذي جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ[3]»[4].

ثانياً: ومن الآيات التي تبين فضل الصحابة وجهادهم بأموالهم وأنفسهم؛ قوله تعالى:﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ

---

(1) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج173/14، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج93/8، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج343/2.

(2) مفاتيح الغيب، ج13/16.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ، «لو كنت متخذا خليلا»، ج8/5: رقم الحديث 3673.

(4) انظر، المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ج17/3.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 88، 89].

لمَّا ذكر الله تعالى ذمِّ المنافقين في الآيات السابقة، بيَّن ثناء المؤمنين في هذه الآيات، وما لهم في آخرتهم، فقال: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ...**﴾ إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم، وقوله ﴿**وَأُوْلَئِكَ**﴾ المنعوتون بالنعوت الجليلة ﴿**لَهُمْ الْخَيْرَاتِ**﴾ أي منافعُ الدارين النصرُ والغنيمةُ في الدنيا والجنةُ والكرامة في العُقبى، وقيل الحورُ الحسان كقوله تعالى:﴿**فِيهِنَّ خيرات حِسَانٌ**﴾ [الرحمن:70] وهي جمعُ خَيْرة تخفيف خيِّرة ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ أي الفائزون بالمطلوب لا مَنْ حاز بعضاً من الحظوظ الفانية عما قليل، وتكريرُ اسمِ الإشارة تنويهٌ لشأنهم وربْءٌ لمكانهم، وقوله: ﴿**أَعَدَّ الله لَهُمْ**﴾ استئنافٌ لبيان كونِهم مفلحين أي هيأ لهم في الآخرةِ ﴿**جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار خالدين فِيهَا**﴾[1].

إنَّ الله تعالى لما شرح حال المنافقين في الفرار عن الجهاد بيَّن أنَّ حال الرسول والذين آمنوا معه بالضِّدِّ منه، حيث بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله والتقرُّب إليه، ولفظ (لكن) فيه فائدة، وهي: أن التقدير أنه إن تخلَّف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد توجَّه إليه من هو خير منهم وهم المؤمنين المخلصين، ولما وصفهم بالمسارعة إلى الجهاد ذكر ما حصل لهم من الفوائد والمنافع وهو أنواع: أولها: قوله:﴿ **وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ**﴾ لفظ الخيرات يتناول منافع الدنيا والآخرة، لأن اللفظ مطلق، وثانيها: قوله:﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ فقوله:﴿**لَهُمُ الْخَيْرَاتُ**﴾ المراد منه الثواب، وقوله:﴿**هُم الْمُفْلِحُونَ**﴾ المراد منه التخلُّص من العقاب والعذاب، وثالثها: قوله:﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ يحتمل أن تكون هذه الجنات كالتفسير للخيرات وللفلاح، ويحتمل أن تحمل تلك الخيرات والفلاح على منافع الدنيا، مثل الغزو، والكرامة، والثروة، والقدرة، والغلبة، وتحمل الجنات على ثواب الآخرة، والفوز العظيم عبارة عن كون ما يحصل لهم من خير مرتبة رفيعة، ودرجة عالية[2].

إنَّ افتتاح الكلام بحرف الاستدراك يؤذن بأن مضمون هذا الكلام نقيض مضمون الكلام الذي قبله أصلاً وتفريعاً، فلما كان قعود المنافقين عن الجهاد مسبباً على كفرهم بالرسول ﷺ، كان المؤمنون على الضِّدِّ من ذلك، وابتدئ وصف أحوالهم بوصف حال الرسول لأن تعلُّقهم به واتباعهم إياه هو أصل كمالهم وخيرهم، فقيل: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا...**﴾،

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج197/4.

(2) انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج119/16.

وفي حرف الاستدراك إشارة إلى الاستغناء عن نصرة المنافقين بنصرة المؤمنين الرسول كقوله: ﴿**فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ**﴾ [الأنعام: 89]، وفي قوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ تعريض بأن الذين لم يجاهدوا دون عذر ليسوا بمؤمنين، و﴿ **مَعَهُ**﴾ في موضع الحال من الذين لتدلُّ على أنهم أتباع له في كل حال وفي كل أمر، فإيمانهم معه لأنهم آمنوا به عند دعوته إياهم، وجهادهم بأموالهم وأنفسهم معه، وفيه إشارة إلى أن الخيرات المبثوثة لهم في الدنيا والآخرة تابعة لخيراته ومقاماته[1].

ثالثاً: ومن الآيات التي تبين جهاد الصحابة بأموالهم وأنفسهم؛ قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:15].

يخاطب المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الأعراب الذين قالوا آمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم، والمعنى: إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدَّقوا الله ورسوله ثم لم يرتابوا، ولم يشكوا في وحدانية الله تعالى، ولا في نبوّة نبيه ﷺ ، وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شكٍّ منه في وجوب ذلك عليه، وجاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم وبذل مُهجِهم فيما أمرهم الله به من جهادهم، وذلك سبيله لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم إنا مؤمنون، لا من دخل في الملَّة خوف السيف ليحقن دمه وماله[2].

وأتى- سبحانه- بثمَّ التي للتراخي، للتنبيه على أن نفي الريب عنهم ليس مقصوراً على وقت إيمانهم فقط، بل هو مستمر بعد ذلك إلى نهاية آجالهم، فكأنه- سبحانه- يقول: إنهم آمنوا عن يقين، واستمر معهم هذا اليقين إلى النهاية، ثم أتبع ذلك ببيان الثمار الطيبة التي ترتبت على هذا الإيمان الصادق فقال: ﴿**وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أي: وبذلوا من أجل إعلاء كلمة الله، ومن أجل دينه أموالهم وأنفسهم[3].

قال الألوسي:"وتقديم الأموال على الأنفس من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ويجوز بأن يقال: قدم الأموال لحرص الكثير عليها حتى أنهم يهلكون أنفسهم بسببها مع أنه أوفق نظرا إلى التعريض بأولئك حيث إنهم لم يكفهم أنهم لم يجاهدوا بأموالهم حتى جاؤوا أو أظهروا

---

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج290/10.

(2) انظر، جامع البيان، الطبري، ج318/22.

(3) انظر، التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ج322/13.

الإسلام حباً للمغانم وعرض الدنيا ومعنى جاهَدُوا بذلوا الجهد، أو مفعوله مقدر أي العدو أو النفس والهوى أُولئِكَ الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة هُمُ الصَّادِقُونَ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا أولئك الأعراب"[1].

وبهذا العرض الرباني الحكيم لفضل الصحابة الكرام في باب الجهاد، يتبين أنهم أول من حمى الإسلام، دفاعا بالمال والنفس، حباً وطمعاً فيما عند الله تعالى، فكان لهم من الكريم المنان، أن يحسن حالهم وذكرهم في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: الهجرة في سبيل الله

لقد رسم الصحابة الكرام أروع صورة في حب الله ورسوله ودينه، حتى هجروا كل محبوب في الدنيا، رغبة في نصرة دين الله ورسوله، وطمعاً ورجاءً فيما عند الله من جزيل الثواب في الدنيا والآخرة، وقد تحدثت آيات كثيرة عن هجرة الصحابة رضوان الله عليهم منها ما يأتي:

أولاً: قوله تعالى:﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195].

قوله تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا** ﴾ أي: تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والخلان والإخوان والجيران، ﴿ **وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ** ﴾ أي: ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: ﴿ **وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي** ﴾ أي: إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده. ﴿ **وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا** ﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله، فيعقر جواده، ويعفر وجهه بدمه وترابه، ولهذا قال تعالى: ﴿ **لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب، من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقوله تعالى:﴿**ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً، ﴿**وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾ أي: عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً[2].

---

(1) روح المعاني، ج319/13.

(2) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج191/2.

قال سيد قطب: " قد كانت هذه صورة الداعين المخاطبين بهذا القرآن أول مرة، الذين هاجروا من مكة، وأخرجوا من ديارهم، في سبيل العقيدة، وأوذوا في سبيل الله لا في أي غاية سواه، وقاتلوا وقتلوا، ولكنها صورة أصحاب هذه العقيدة في صميمها، في كل أرض وفي كل زمان صورتها وهي تنشأ في الجاهلية في الأرض المعادية لها، وبين القوم المعادين، فتضيق بها الصدور، وتتأذى بها الأطماع والشهوات، وتتعرض للأذى والمطاردة، وأصحابها– في أول الأمر– قلة مستضعفة، ثم تنمو النبتة الطيبة على الرغم من الأذى، وعلى الرغم من المطاردة، ثم تملك الصمود والمقاومة والدفاع عن نفسها، فيكون القتال، ويكون القتل، وعلى هذا الجهد الشاق المرير يكون تكفير السيئات، ويكون الجزاء ويكون الثواب"[1].

ثانياً: ومن الآيات التي مدح الله فيها الصحابة على هجرتهم في سبيل الله، قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: 41].

يخبر تعالى عن فضل المؤمنين الممتحنين ﴿**الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ**﴾ أي: في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ بالأذية والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثوابا عاجلا في الدنيا من الرزق الواسع والعيش الهنيء، الذي رأوه عيانا بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة، ﴿**وَلأَجْرُ الآخِرَةِ**﴾ الذي وعدهم الله على لسان رسوله ﴿**أَكْبَرُ**﴾ من أجر الدنيا، ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ أي: لو كان لهم علم ويقين بما عند الله من الأجر والثواب لمن آمن به وهاجر في سبيله لم يتخلف عن ذلك أحد[2].

وقوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ**﴾ الفاء هنا للسببية، أي لأجل اللَّه تعالى، وذكر الفاء ينبئ إلى أنهم قضوا حياتهم في اللَّه فصاروا لَا يفكرون في غير طاعته، وصار هو ملء قلوبهم ونفوسهم وعقولهم، فكلهم له سبحانه وتعالى لا يفكرون إلا فيه، ويهون كل عذاب في سبيله تعالى [3].

ثالثاً: ومن الآيات أيضاً: قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل: 110].

---

(1) في ظلال القرآن، ج549/1.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص441.

(3) انظر، زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج4181/8.

هذه الآية بيان للذين كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم، وافقوهم على الفتنة ظاهرا، ثم أمكنهم الخلاص بالهجرة، فتركوا بلادهم وأهاليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه، وجاهدوا الكافرين وصبروا على مشاقّ الجهاد، أخبر تعالى أنه لهؤلاء من بعد هذه الفتنة، ﴿**لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ فيغفر لهم ما فرط منهم، ويرحمهم بالجزاء الحسن[1].

ولمَّا ذكر الله الذين آمنوا وصبروا على الأذى، وعذر الذين اتقوا عذاب الفتنة بأن قالوا كلام الكفر بأفواههم ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان، ذكر فريقاً آخر فازوا بفرار من الفتنة، وقد أومأ إلى حظهم من الفضل بقوله: هاجروا من بعد ما فتنوا، فسمى عملهم هجرة[2].

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾ [الحج: 58،59].

يخبر تعالى عمن خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلباً لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرة لدين الله ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا من غير قتال على فرشهم، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [النساء: 100].

قوله تعالى:﴿ **لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ ليجرينَّ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم،﴿ **لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ** ﴾ أي: الجنة، ثم قال: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ**﴾ أي: بمن يهاجر ويجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، ﴿**حَلِيمٌ** ﴾ أي: يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: 169] [3].

وهذه بشارة كبرى، لمن هاجر في سبيل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله، ابتغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، فهذا قد وجب أجره على الله، سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهداً في سبيل الله، ﴿ **لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا**﴾ في البرزخ، وفي يوم القيامة بدخول الجنة الجامعة

---

(1) انظر، محاسن التأويل، القاسمي، ج414/6.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج299/14.

(3) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج447/5.

للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، وقيل يحتمل أن المعنى :المهاجر في سبيل الله، قد تكفل برزقه في الدنيا، رزقاً واسعاً حسناً، سواء علم الله منه أنه يموت على فراشه، أو يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله، سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر سبحانه وتعالى ، فإن المهاجرين السابقين، تركوا ديارهم وأبناءهم وأموالهم، نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيرا، حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكنهم من العباد فاجتبوا من أموالها، ما كانوا به من أغنى الناس، ويكون على هذا القول، **قوله:** ﴿**لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ**﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصا فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من إرادة الجميع ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ**﴾ بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، ﴿**حَلِيمٌ**﴾ يعصيه الخلائق ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله [1].

ومن خلال استعراض هذه الآيات يتبين فضل الصحابة الكرام بوجه عام، ومزيد شرفهم في باب الهجرة، فهم أول من نصر الدين، وهاجر لله وفي الله، ففازوا بالثواب الجزيل والثناء العطر من رب العالمين.

المطلب الرابع: إيتاء الزكاة ابتغاء وجه الله

مدح الله تعالى الصحابة رضوان الله عليهم، في أنهم يؤدون ما افترض الله عليهم من زكاة الأموال طاعة لله وابتغاء مرضاته، ولا يلهيهم عن ذلك لاهٍ، خوفاً من عذاب الآخرة، ورغبة في الجنة، وهذا يظهر من خلال:

قوله تعالى:﴿ **رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ [النور: 37].

قوله تعالى:﴿ **رِجَالٌ**﴾ فيه إشعار بهممهم السامية، ونياتهم وعزائمهم العالية، التي بها صاروا عُمَّاراً للمساجد، التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه، لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وريحها، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم؛ لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق؛ ولهذا قال: ﴿**لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** ﴾ أي: يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم[2].

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص، 543.

(2) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6/67-68.

قال القاسمي في قوله تعالى:﴿ **رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ أي بالتسبيح والتحميد وَإِقامِ الصَّلاةِ أي إقامتها لمواقيتها من غير تأخير، ﴿ **وَإِيتاءِ الزَّكاةِ**﴾ أي المال الذي يتزكى مؤتيه من دنس الشح ورذيلة البخل، وتطهر نفسه ويصفو سره، ﴿ **يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصار**﴾ أي: تضطرب وتتغير من الهول والفزع، كما في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ**﴾ [الأحزاب: 10] [(1)].

خصت إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لشرفهما ولتيسر السير فيهما إلى الله وسهولته، ويدخل في ذلك، التسبيح في الصلاة وغيرها، ولهذا شرعت أذكار الصباح والمساء وأورادهما عند الصباح والمساء، يسبح فيها الله، رجال، ليسوا ممن يؤثر على ربه دنيا، ولا تجارة ومكاسب، مشغلة عنه، ﴿**لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ**﴾ وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿**وَلا بَيْعٌ**﴾ من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك، بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿**ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**﴾ بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه، ولما كان ترك الدنيا شديداً على أكثر النفوس، وحب المكاسب بأنواع التجارات محبوبا لها، ويشق عليها تركه في الغالب، وتتكلف من تقديم حق الله على ذلك، ذكر تعالى ما يدعوها إلى ذلك –ترغيباً وترهيباً– فقال: ﴿**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**﴾ من شدة هوله وإزعاجه للقلوب والأبدان، فلذلك خافوا ذلك اليوم، فسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه، ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**﴾ والمراد بأحسن ما عملوا أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، لأنهم يعملون المباحات وغيرها، فالثواب لا يكون إلا على العمل الحسن، كقوله تعالى: ﴿**لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ ﴿**وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ زيادة كثيرة عن الجزاء المقابل لأعمالهم، ﴿**وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ بل يعطيه من الأجر ما لا يبلغه عمله، بل ولا تبلغه أمنيته، ويعطيه من الأجر بلا عد ولا كيل، وهذا كناية عن كثرته جدا[(2)].

فإيتاء الزكاة ابتغاء مرضات الله من صفات الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وهم أكمل المؤمنين إيماناً، وأحسنهم خلقاً بعد رسول الله ﷺ.

---

(1) انظر، محاسن التأويل، ج391/7.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص، 569.

الفصل الثانـي
صفات الصحابيات أمهات المؤمنين
وصور حفظ الله لهن

المبحث الأول

صفات الصحابيات أمهات المؤمنين

المطلب الأول: القنوت لله ورسوله وعمل الصالحات

اختار الله عز وجل لرسوله محمد ﷺ أكرم النساء وأعلاهنَّ قدراً، وأجلهنَّ شأناً، وأرفعهن منزلةً، فجعلهنَّ أمهات للمؤمنين، ولهن خصوصيات ليست لغيرهن في الفضل والمقام، وكانت لهن هذه المكانة بإطاعتهنَّ لله ورسوله ﷺ ، وعمل الصالحات ويتبين هذا من خلال الآية الآتية: قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: 31].

يقول الله تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين أنه من يطع الله ورسوله منكنَّ وتعمل بما أمر الله به، يعطها الله ثواب عملها مثليْ ثواب عمل غيرهن من سائر نساء المؤمنين، وأعتدنا لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة [1].

قال ابن كثير في قوله تعالى: "﴿ **وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ أي: تطع الله ورسوله ﴿**نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ أي: في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ ، في أعلى عليين، فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش" [2] .

وإنما ضوعف أجرهنَّ لطلبهنَّ رضا رسول الله ﷺ بحسن الخلق، وطيب المعاشرة والقناعة، وتوفرهنَّ على عبادة الله والتقوى [3].

وأما وصف رزق الآخرة بكونه كريماً، مع أن الكريم لا يكون إلا وصفاً للرزاق، إشارة إلى معنى لطيف، وهو أن الرزق في الدنيا مقدر على أيدي الناس، التاجر يسترزق من السوقة، والمعاملين والصناع من المستعملين، والملوك من الرعية، والرعية منهم، فالرزق في الدنيا لا يأتي بنفسه، وإنما هو مسخَّر للغير يمسكه ويرسله إلى الأغيار، وأما في الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه، فلأجل هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا

---

(1) انظر، جامع البيان، الطبري، ج255/20.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج408/6.

(3) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج536/3.

الرزاق، وفي الآخرة يوصف بالكريم نفس الرزق وإذا كان الرزق يوصف بالكرم، فما بال الرازق الحقيقي سبحانه [1].

وأسند فعل إيتاء أجرهن إلى ضمير الجلالة بوجه صريح تشريفاً لإيتائهن الأجر لأنه المأمول بهن، وكذلك فعل وأعتدنا، ومعنى مرتين: توفير الأجر وتضعيفه، وضمير أجرها عائد إلى "من" باعتبار أنها صادقة على واحدة من نساء النبيء ﷺ ، وفي إضافة الأجر إلى ضميرها إشارة إلى تعظيم ذلك الأجر بأنه يناسب مقامها وإلى تشريفها بأنها مستحقة ذلك الأجر، ومضاعفة الأجر لهن على الطاعات كرامة لقدرهن، وهذه المضاعفة في الحالين من خصائص أزواج النبي ﷺ لعظم قدرهن[2] .

لقد أنزل الله _عزَّ وجلَّ_ هذه الآيات التي يرفع بها ذكر خير نساء العالمين، وبيَّن تعالى بما استحققن هذه المنزلة الرفيعة، فنساء النبي رضوان الله عليهن، هن خير من تربين على يد الرسول الكريم، إيماناً وعلماً وهدىً، فترتب على ذلك جزيل الثواب من الله لأهل بيت النبي ﷺ .

المطلب الثاني: القول المعروف وعدم الخضوع بالقول

لقد أنزل الله _عز وجل_ آيات يربِّي بها بيوت الأشراف، فالبيوت الرفيعة، والبيوت الكريمة يصلح لها من التربية ما لا يصلح لغيرها، وأنهم ينبغي أن يكونوا في مقامات وأفعال وأقوال وأحوال تليق بمنازلهم الشريفة، فكان من تربية الله لهذا البيت الشريف، ما جاء في الآية الآتية:

قال تعالى:﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ، ونساء الأمة تبعٌ لهنَّ في ذلك، فقال مخاطباً نساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحدٌ من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة أحد، فضَّلهُنَّ الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ ،

(1) انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج167/25.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج5/22.

ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون؛ لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها [1].

يا نِساءَ النَّبِيِّ الأفضل الأكمل من عموم الأنبياء والرسل،﴿**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾، ففضيلته ﷺ قد سرت إليكن، فعليكن أن لا تغفلن عنها ولا تذهلن عن مقتضاها، ورعاية حقوقها بل من شأنكن التحصن والتقوى والتحرز مطلقاً عن ملهيات الهوى، فلكن إِنِ اتَّقَيْتُنَّ يعنى ان تردن ان تتصفن بالتقوى عن محارم الله وعن مقتضيات الهوى فَلا تَخْضَعْنَ ولا تلن ولا تلطفن بِالْقَوْلِ، والتكلم وقت احتياجكن الى المكالمة مع آحاد الرجال من الأجانب، ولا تجبن عن سؤالهم هينات لينات مريبات مثل تكلم النساء المريدات لأنواع الفتن والفسادات مع المفسدين من الرجال، فيطمع الذي في قلبه مرض وميل الى الفجور إليكن، بعد ما سمع منكن تلينكن في قولكن وقُلْنَ بعد ما تحتجن الى التكلم معهم عن ضرورة قَوْلًا مَعْرُوفاً مستحسنا عقلا وشرعا بعيدا عن الريبة المثيرة للطمع خاليا عن وصمة الملاينة المحركة للشهوات[2].

ولمَّا نهاهنَّ عن الخضوع في القول، فربما توهَّم أنهنَّ مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله:﴿ **وَقُلْنَ قَوْلا مَعْرُوفًا**﴾ أي: غير غليظ، ولا جاف كما أنه ليس بِلَيِّنٍ خاضع، وتأمَّل كيف قال:﴿ **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ**﴾ ولم يقل:﴿ **فلا تَلِنَّ بالقول**﴾ وذلك لأن المنهي عنه، القول اللين، الذي فيه خضوع المرأة للرجل، وانكسارها عنده، والخاضع، هو الذي يطمع فيه، بخلاف من تكلم كلامًا لينًا، ليس فيه خضوع، بل ربما صار فيه ترفع وقهر للخصم، فإن هذا، لا يطمع فيه خصمه، ولهذا مدح الله رسوله باللين، فقال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران:159]، وقال لموسى وهارون عليهما السلام:﴿ **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: 43، 44] [3].

ومن هذه الآية يتضح أن التشديد الواقع على زوجات النبي ﷺ ، لا يتعامل به سائر النساء، فزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام لسن كأحد من النساء، فالأجر أو العذاب مضاعف على أمهات المؤمنين، لكونهن من أهل البيت المطهرين، وهذا من حفظ الله تعالى لبيت النبوة الطاهر، لكن ما كن كذلك إلا ليكون بيت النبوة قدوة لجميع نساء العالمين.

---

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6/408-409.

(2) انظر، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، علوان، ج2/ 155.

(3) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص664.

المطلب الثالث: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله

لقد اختار الله عز وجل أمهات المؤمنين لكنف نبيه ﷺ ، وشرفهن بالزواج منه ﷺ ، فتربين على يد خير الخلق، فكان ذلك لزاماً لتمام طاعتهن لله ولرسوله، وقد جاءت النصوص الكثيرة الناطقة بفضلهن، وشاهدة على حسن عبادتهن؛ ولذلك كانت منزلتهم أعظم منزلة، ورتبتهم أعلى رتبة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33].

أمر الله تعالى أمهات المؤمنين بأن يقمن الصلاة فرضاً ونفلاً، صلة لما بينهن وبينه تعالى، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأن يأتين الزكاة إحساناً إلى الخلائق، وفي هذا بشارة بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن، فإن العيش وقت نزولها كان ضيقاً عن القوت فضلاً عن الزكاة، وأمرهن تعالى بالصلاة والزكاة لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية [1].

أمر الله تعالى نساء النبي رضوان الله عليهن أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة، ثم جاء به عامًّاً في جميع الطاعات، لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات، من اعتنى بهما حق اعتنائه جرَّتاه إلى ما ورائهما، ثم بين أنه إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن، لئلا يقارف أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم، وليتصوَّنوا عنها بالتقوى. واستعار للذنوب: الرجس، وللتقوى: الطهر، لأنَّ عرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنس، كما يتلوث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولى الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به [2].

قال ابن عاشور:"﴿**وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أريد بهذه الأوامر الدوام عليها لأنهن متلبسات بمضمونها من قبل، وليعلم الناس أن المقربين والصالحين لا ترتفع درجاتهم عند الله تعالى عن حق توجه التكليف عليهم، وفي هذا مقمع لبعض المتصوفين الزاعمين أن الأولياء إذا بلغوا المراتب العليا من الولاية سقطت عنهم التكاليف الشرعية، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، متصل بما قبله إذ هو تعليل لما تضمنته الآيات السابقة من أمر ونهي ابتداء من قوله تعالى: يا نساء النبي من يأت منكن

(1) انظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج345/15.

(2) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج538/3.

[الأحزاب:30] الآية، فالمعنى أمركن الله بما أمر ونهاكن عما نهى، لأنه أراد لكنَّ تخلية عن النقائص والتحلية بالكمالات، وهذا التعليل وقع معترضا بين الأوامر والنواهي المتعاطفة "[1].

وقال سيد قطب في ظلال هذه الآية:"﴿ **إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ وفي العبارة تلطف ببيان علة التكليف وغايته، تلطف يشي بأن الله سبحانه– يشعرهم بأنه بذاته العلية– يتولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، وهي رعاية علوية مباشرة بأهل هذا البيت، وأخيرا فإنه يجعل تلك الأوامر والتوجيهات وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت" [2].

وبهذه العناية الربانية لأهل بيت النبي ﷺ ، يتبين عظم شأن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فهن أمهات خير القرون، معلمات الهدى والتقوى والصلاح، فاستحققن بذلك هذا الثناء والرعاية، والذكر المتردد إلى يوم الدين.

المطلب الرابع: تطهير الله لهن وإذهاب الرجس عنهن

لقد اعتنى سبحانه وتعالى بأهل النبي ﷺ خير اعتناء، فزوجات النبي رضي الله عنهنَّ هُنَّ عماد التربية وحسن الأدب والتقوى من بعده ﷺ ، لذلك أكرمهنَّ الله بحسن الطاعة ليطهرهنَّ ويحفظهنَّ من كل سوء، ومن الآيات التي تبين هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33].

سبب نزول الآية: قالت عائشة رضي الله عنها: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ [3]، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [4].

﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ يقول تعالى مخاطباً أهل بيت الرسول الكريم، يا أهل البيت إنما أوصاكن الله – سبحانه – بما أوصاكنَّ من التقوى، وأن لا تخضعن

---

(1) التحرير والتنوير، ج13/22.

(2) في ظلال القرآن، ج2858/5.

(3) مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، (المرط) كساء؛ جمعه مروط، (المرحل) المرحل الذي قد نقش فيه تصاوير رحال الإبل. انظر، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج210/2.

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، ج1883/4: رقم الحديث 2424.

بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت، وعدم التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله؛ يريد الله بذلك أن يُذهب عنكم الشيطان والسوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ﷺ، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل المعاصي ويطهركم تطهيراً [1].

ثم بين تعالى أنه إنما نهاهنَّ وأمرهنَّ ووعظهنَّ، لئلَّا يقارف أهل بيت رسول الله ﷺ المآثم، وليتصوَّنوا عنها بالتقوى، واستعار للذنوب: الرجس، وللتقوى: الطهر، لأنَّ عِرض المقترف للمقبحات يتلوَّث بها ويتدنس، كما يتلوَّث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات، فالعِرض معها نقيٌّ مصون كالثوب الطاهر، وفي هذه الاستعارة ما ينفِّرُ أولي الألباب عما كَرِهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغِّبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به [2].

قال الرازي: "﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ يعني ليس المنتفع بتكليفكنَّ هو الله ولا تنفعن الله فيما تأتين به، وإنما نفعه لكنَّ وأمره تعالى إياكنَّ لمصلحتكنَّ، وقوله تعالى:﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ**﴾ فيه لطيفة وهي أن الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحل فقوله تعالى:﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**﴾ أي يزيل عنكم الذنوب، ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ**﴾ أي يلبسكم لباس الكرامة، ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنَّثات وخاطب بخطاب المذكَّرين بقوله:﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم"[3].

والتعريف في البيت في قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ تعريف العهد ببيت النبي ﷺ ، وبيوت النبي عليه الصلاة والسلام كثيرة، فالمراد بالبيت هنا بيت كل واحدة من أزواج النبي ﷺ ، وكل بيت من تلك البيوت أهل النبي ﷺ وزوجه صاحبة ذلك، ولذلك جاء بعده قوله: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[الأحزاب: 34]، وضميرا الخطاب موجهان إلى نساء النبي ﷺ على سنن الضمائر التي تقدمت، وإنما جيء بالضميرين بصيغة جمع المذكر على طريقة التغليب لاعتبار النبي ﷺ في هذا الخطاب ؛لأنه رب كل بيت من بيوتهن وهو حاضر هذا الخطاب إذ هو مبلغه. وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهن لأجل مقام النبي ﷺ لتكون قريناته مشابهات له في الزكاة والكمال، كما قال الله تعالى: ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ** ﴾[النور: 26] يعني أزواج النبي للنبي ﷺ ، وهو نظير قوله في

---

(1) انظر، جامع البيان، الطبري، ج262/20.

(2) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج538/3.

(3) مفاتيح الغيب، ج168/25.

قصة إبراهيم:﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: 73]، والمخاطب زوج إبراهيم عليه السلام وهو معها [1].

قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فهو يسميهم ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بدون وصف للبيت ولا إضافة. كأنما هذا البيت هو ﴿الْبَيْتِ﴾ الواحد في هذا العالم، المستحق لهذه الصفة، فإذا قيل ﴿الْبَيْتِ﴾ فقد عرف وحدد ووصف، ومثل هذا قيل عن الكعبة بيت الله، فسميت البيت، والبيت الحرام. فالتعبير عن بيت رسول الله- ﷺ - كذلك تكريم وتشريف واختصاص عظيم، وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ- أَهْلَ الْبَيْتِ- وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ تلطُّف ببيان علة التكليف وغايته، تلطف يشي بأن الله سبحانه- يشعرهم بأنه بذاته العلية- يتولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم، وهي رعاية علوية مباشرة بأهل هذا البيت، حين نتصور من هو القائل- جل وعلا- ندرك مدى هذا التكريم العظيم.

فالله تعالى يجعل تلك الأوامر والتوجيهات التي سبقت هذه الآية وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت، فالتطهير من التطهُّر، وإذهاب الرِّجس يتمُّ بوسائل يأخذ الناس بها أنفسهم، ويحققونها في واقع الحياة العملي، وهذا هو طريق الإسلام، شعور وتقوى في الضمير، وسلوك وعمل في الحياة، يتم بهما معا تمام الإسلام، وتتحقق بهما أهدافه واتجاهاته في الحياة [2].

وبهذا الاعتناء الرباني لخير أمهات الأرض رضي الله عنهنَّ يتبين عظم مكانتهنَّ، وامتيازهنَّ على النساء، بمكانهنَّ من رسول الله- ﷺ - وبما أنعم الله عليهنَّ من تطهيرهنَّ من كلِّ سوء، فجعل بيوتهنَّ مهبط القرآن ومنزل الحكمة، ومشرق النور والهدى والإيمان.

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج14/22.

(2) انظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2862/5.

المطلب الخامس: تذكُّر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله

ومن صفات الصحابيات أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ أنهنَّ دائمات ذكر الله تعالى كتاباً وسنةً، لأنه في منازلهنَّ كان مهبط الوحي، وزوجهنَّ معلم البشرية النور والهدى والصلاح ﷺ ، ومن الآيات التي تبين هذا المعنى قوله تعالى:﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب: 34].

﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ يقول تعالى لأزواج نبيه محمد ﷺ ، واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوتٍ تُتْلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، واذكرنها، وتفكرن فيها لتتعظنَّ بمواعظ الله ، أو اذكرنها للناس ليتعظوا بها، ويهتدوا بهداها، أو اذكرنها بالتلاوة لها لتحفظنها، ولا تتركن الاستكثار من التلاوة، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ أي: لطيفاً بأوليائه، خبيراً بجميع خلقه وجميع ما يصدر منهم من خير وشر، وطاعة ومعصية، فهو يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته [1].

قال البيضاوي: "﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ من الكتاب الجامع بين الأمرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهنَّ من حيث جعلهنَّ أهل بيت النبوة ومهبط الوحي، وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة، حثاً على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً**﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركنَّ ووعظكنَّ، أو يعلم من يصلح لنبوَّته ومن يصلح أن يكون أهل بيته" [2].

ولما أمرهنَّ سبحانه وتعالى بالعمل، الذي هو فعل وترك، أمرهنَّ بالعلم، وبين لهنَّ طريقه، فقال:﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ والمراد بآيات الله، القرآن، والحكمة أسراره وسنة رسوله، وأَمْرُهنَّ بِذِكْرِه يشمل ذكر لفظه بتلاوته، وذكر معناه بتدبُّره والتفكُّر فيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه وذكر العمل به وتأويله، ﴿**إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تظهر وتُسَر[3].

---

(1) انظر، فتح القدير، الشوكاني، ج323/4.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج231/4.

(3) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص، 664.

فالله تعالى لما ضمن لهنَّ العظمة أمرهنَّ بالتحلي بأسبابها، والتملِّي من آثارها، والتزود من علم الشريعة بدراسة القرآن، ليجمع ذلك اهتداءهنَّ في أنفسهنَّ ازدياداً في الكمال والعلم، وإرشادهنَّ الأمة إلى ما فيه صلاح لها من علم النبي ﷺ .

وفعل **(وَاذْكُرْنَ)** يجوز أن يكون من الذكر بضم الذال وهو التذكُّر، وهذه كلمة جامعة تشمل المعنى الصريح منه، وهو أن لا ينسين ما جاء في القرآن ولا يغفلن عن العمل به، ويشمل المعنى الكنائي وهو أن يراد مراعاة العمل بما يتلى في بيوتهنَّ مما ينزل فيها، وما يقرأه النبي ﷺ فيها، وما يبين فيها من الدين، ويشمل معنى كنائياً ثانياً وهو تذكر تلك النعمة العظيمة أن كانت بيوتهنَّ موقع تلاوة القرآن، ويجوز أيضاً أن يكون من الذكر بكسر الذال، وهو إجراء الكلام على اللسان، أي بلِّغنه للناس بأن يقرأن القرآن ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، وفيه كناية عن العمل به[1].

مما سبق يتبين حرص الصحابيات على الالتزام بما أمرهن الله ورسوله ﷺ ، واجتناب ما حرمه الله تعالى ورسوله الكريم، والتحلي بفضائل الأعمال والأخلاق، لذلك خلَّد الله ذكرهن في القرآن الكريم، وطهرهن من السوء والفحشاء، وحفظهن من الزيغ والزلل.

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج18/22.

المبحث الثاني

صور من حفظ الله لهن وفضله عليهن

المطلب الأول: القرار في البيوت وعدم التبرج تبرج الجاهلية

فضل الله تعالى أمهات المؤمنين تفضيلاً عظيماً، حيث جعلهن زوجات خير البشر على مر الزمان محمد ﷺ ، وتَوَّجَهُنَّ سبحانه بتاج الأدب والعلم والتقوى، ليكونن نبراساً يستضيئ به نساء العالمين على مر العصور، ولأجل ذلك شرع الله لهن أحكاماً يحفظهن بها ويبين فضلهن ومزيد الاعتناء بهن، ونلمح ذلك من خلال الآية الآتية:

قال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...**﴾ [الأحزاب: 33].

إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي ﷺ أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، والجاهلية الْأُولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام: كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، والجاهلية الأخرى: ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى: جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام، فكأنَّ المعنى: ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر[1].

وأمَّا الرازي فقد فصَّل فيها تفصيلاً آخر؛ فقال في قوله تعالى: ﴿**الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ فيه وجهان أحدهما: أن المراد من كان في زمن نوح والجاهلية الأخرى من كان بعده، وثانيهما: أن هذه ليست أولى تقتضي أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة كقول القائل: أين الأكاسرة الجبابرة الأولى[2].

وقرن في بيوتكن هذا أمر خصصن به، وهو وجوب ملازمتهن بيوتهن توقيراً لهن، وتقوية في حرمتهن، فقرارهن في بيوتهن عبادة، وأن نزول الوحي فيها وتردد النبي ﷺ في خلالها يكسبها حرمة، وقد كان المسلمون لما ضاق عليهم المسجد النبوي يصلون الجمعة في بيوت أزواج النبي ﷺ ، وهذا الحكم وجوب على أمهات المؤمنين وهو كمال لسائر النساء[3].

---

(1) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج537/3.

(2) انظر، مفاتيح الغيب، ج167/25.

(3) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/22.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ يعنى يا نساء النبي من شأنكن التقرر والتخلي في البيوت بلا خروج الى الملأ بلا ضرورة، رعاية لمرتبتكن التي هي أعلى من مراتب سائر النساء، وَإن تحتجن الى الخروج أحياناً عليكنَّ ألَّا تَبَرَّجْنَ ولا تبخترن في مشيكن مظهرات زينتكنَّ، مهيجات لشهوات المناظرين ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ مثل تبختر النساء المثيرات لشهوات الرجال في الجاهلية القديمة، التي هي جاهلية الكفر، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق والعصيان في الإسلام خص سبحانه الأولى بالذكر وان كانت كلتاهما مذمومتين محظورتين شرعاً؛ لأنها أفحش وأقبح واظهر فساداً، لأن النساء فيها يتزين بأنواع الزينة ويظهرن على الرجال بلا تستر واستحياء، بل بملاينة تامة وملاطفة كاملة على سبيل الغنج والدلال وأنواع الحركات المطمعة للرجال، وَبالجملة من حقكن واللائق بشأنكن يا نساء النبي الاجتناب عن مطلق المنكرات والاشتغال بالطاعات والأعمال الصالحات سيما المواظبة على الصلوات النوافل والمفروضات.

وهذه الآية تقتضي وجوب مكث أزواج النبي ﷺ في بيوتهن وأن لا يخرجن إلا لضرورة، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ»[1]، يريد حاجات الإنسان، ومحمل هذا الأمر على ملازمة بيوتهن فيما عدا ما يضطر فيه الخروج مثل موت الأبوين، وقد خرجت عائشة إلى بيت أبيها أبي بكر في مرضه الذي مات فيه كما دل عليه حديثه معها في عطيته التي كان أعطاها من ثمرة نخلة، وكن يخرجن للحج وفي بعض الغزوات مع رسول الله ﷺ، لأن مقر النبي ﷺ في أسفاره قائم مقام بيوته في الحضر، وأبت سودة أن تخرج إلى الحج والعمرة بعد ذلك، وكل ذلك مما يفيد إطلاق الأمر في قوله: وقرن في بيوتكن، ولذلك لما مات سعد بن أبي وقاص أمرت عائشة أن يمر عليها بجنازته في المسجد لتدعو له، أي لتصلي عليه[2].

رضي الله عن أمهات المؤمنين جميعاً، فما كان هذا الاعتناء من الله تعالى بهنَّ، إلا لأنهن زوجات النبي ﷺ ، والقدوة الأولى لنساء العالمين، فالخطاب لهن وهو لنساء الأمة جميعاً.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله" لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم"، ج120/6: رقم الحديث 4795.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج12/22.

المطلب الثاني: عدم دخول بيوتهن بدون إذن

يتوالى حفظ الله تعالى لأهل بيت النبي ﷺ زوجاته الأطهار رضي الله عنهن، وذلك بتعاليم وآداب شرعها سبحانه لعباده ليحصل وافي الأدب مع أهل النبي ﷺ ويتبين هذا من خلال هذه الآية وآدابها المتتالية:

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...** ﴾ [الأحزاب: 53].

سبب نزول الآية: عن أنس رضي الله عنه، قال: " بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ: «ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ» وَبَقِيَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي البَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلاَثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي البَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ القَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ البَابِ دَاخِلَةً، وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الحِجَابِ" [(1)] .

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ**﴾ شروعٌ في بيان ما يجبُ مراعاتُه على النَّاسِ من حُقوقِ نساءِ النبيِّ ﷺ ، إثرَ بيانِ ما يجبُ مراعاته عليه ﷺ وسلم منَ الحقوقِ المُتعلقةِ بهنَّ وقوله الى ﴿**إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ استثناءٌ مفرَّغٌ من أعم الأحوالِ أي لا تدخلُوها في حالٍ من الأحوالِ إلا حال كونكم مأذونا لكم، وقيل منْ أعمِّ الأوقاتِ أيْ لا تدخلُوها في وقتٍ من الأوقاتِ إلا وقتَ أنْ يُؤذنَ لكُم، وقولُه تعالى ﴿ **إِلَى طَعَامٍ** ﴾ متعلَّقٌ بيؤذنُ بتضمينِ معنى الدُّعاءِ للإشعارِ بأنَّه لا ينبغِي أنْ يدخلُوا على الطَّعامِ بغيرِ دعوةٍ وإنْ تحققَ الإذنُ كما يُشعر به قوله تعالى ﴿**غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ أي غيرَ منتظرينَ وقتَهُ أو إدراكَه، ﴿**وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا**﴾ استدراك من النَّهيِ عن الدُّخولِ بغيرِ إذنٍ، وفيهِ دلالةٌ بيِّنةٌ على أنَّ المرادَ بالإذنِ إلى الطَّعامِ هو

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله لا تدخلوا بيوت النبي...، ج119/6: رقم الحديث4791.

الدَّعوةُ إليهِ ﴿**فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا**﴾ فتفرقُوا ولا تلبثُوا لأنه خطاب لقوم كان يتحينون طعام النبيِّ ﷺ فيدخُلون ويقعدُون منتظرين لإدراكِه مخصوصةً بهم وبأمثالِهم وإلاَّ لما جاز لاحد ان يدخل بيوته ﷺ بإذنٍ لغيرِ الطَّعامِ ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم ﴿**وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ أي لحديثِ بعضِكم بَعضاً أو لحديثِ أهلِ البيتِ بالتَّسمعِ له، ولا تمكثُوا مستأنسين وهذا الاستئناسُ الذي كنتُم تفعلونَهُ من قبل كان يؤذي النبي ، لتضييقِ المنزَّلِ عليهِ وعلى أهلِه وإيجابِه للاشتغالِ بما لا يعينه وصدِّه عن الاشتغالِ بما يعنيه فيستحي منكم أي من إخراجِكم لقولِه تعالى ﴿**وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ فإنَّه يستدعِي أنْ يكونَ المستحى منه أمراً حقَّاً متعلِّقاً بهم لا أنفسهم وما ذاك إلا إخراجهم فينبغي أنْ لا يُترك حياءً، ولذلك لم يتركْه تعالى وأمرَكم بالخروجِ [1].

ويأمر تعالى عباده المؤمنين بالتأدب مع رسول الله ﷺ ، في دخول بيوته فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ**﴾ أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها لأجل الطعام، وأيضاً لا تكونوا﴿ **نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال:﴿**وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ أي: قبل الطعام وبعده، ثم بين تعالى حكمة النهي وفائدته فقال:﴿ **إِنَّ ذَلِكُمْ**﴾ أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿**كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ**﴾ أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه ﴿**فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ**﴾ أن يقول لكم: "اخرجوا " كما هو جاري العادة، أن الناس –وخصوصا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، {و} لكن ﴿ **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء، والله تعالى لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائناً ما كان[2].

وقد يكون معنى قوله تعالى: ﴿**غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ نهياً لهم أن يدخلوا مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوين قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه، عجلة وانتظاراً لنضج الطعام، فإن ذلك مما يؤذي قلب صاحب الدعوة، لشغل هذه الحصة معهم بلا فائدة، إلا ضيق صدر الداعي وأهله، وشغل وقته وتوليد حديث، وتكلفاً لكلام لا ضرورة له، وإطالة زمن الحجاب على نسائه. وما

(1) انظر، إرشاد العقل السليم، أبي السعود، ج112/7.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص670.

ذلك إلا من شؤم التعجيل قبل الوقت، ولذلك قال تعالى ﴿**وَلَكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا**﴾ أي إذا دعيتم إلى الدخول في وقته، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده، (لكن) استدراك من النهي عن الدخول، مع الإذن المطلق الذي هو الدعوة بتعليم أدب آخر، وإفادة شرط مهم، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه[1].

وجملة ﴿**وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ معطوفة على جملة فيستحيي منكم، والمعنى: أن ذلك سوء أدب مع النبي ﷺ فإذا كان يستحيي منكم فلا يباشركم بالإنكار ترجيحاً منه للعفو عن حقه على المؤاخذة به، فإن الله لا يستحيي من الحق لأن أسباب الحياء بين الخلق منتفية عن الخالق سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: 4][2].

فما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذي يجافيه الكثيرون، فإن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده، بل إنهم ليتخلفون على المائدة، ويطول بهم الحديث وأهل البيت– الذين يحتفظون ببقية من أمر الإسلام بالاحتجاب– متأذون محتبسون، والأضياف ماضون في حديثهم وفي سمرهم لا يشعرون! وفي الأدب الإسلامي غناء وكفاء لكل حالة، لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهي القويم [3].

فمن هذه الآية يتبين شرع الله تعالى في آداب الزيارة، التي لابد من الأخذ بها، وتطبيقها واقعاً عملياً في حياتنا اليومية، كما فعل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، بامتثال أمر الله لهم على أكمل وجه، ففازوا برضى الله ورسوله ﷺ .

المطلب الثالث: سؤالهن من وراء حجاب

وأيضاً من باب حفظ الله لبيت النبوة الطاهر، وإسداء النعمة والرحمة عليه، أن جعل الله تعالى محادثة أزواج النبي ﷺ مع غير ذات محرم من وراء حجاب، إكمالاً لطهر قلوبهن رضي الله عنهن، وتحقيقاً لطهر من يحدثهن من الرجال، ويتبين هذا المعنى من خلال الآية الآتية:

قال تعالى:﴿...**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**...﴾ [الأحزاب: 53].

---

(1) انظر، محاسن التأويل، القاسمي، ج100/8.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج88/22.

(3) انظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2878/5.

سبب نزول الآية: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب " لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ ، كانت معه في البيت صنع طعاما ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ [الأحزاب: 53] إلى قوله ﴿ **مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [الأحزاب: 53] فضرب الحجاب وقام القوم" [1].

يقول تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ أي وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ فاسألوهن من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن، وسؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل[2].

وهذا أدب آخر متعلقٌ بنساء النبي ﷺ فقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا**﴾ أي: شيئاً يتمتع به، من الماعون وغيره فسئلوهن من وراء حجاب أي من وراء ستر بينكم وبينهن، والمتاع يطلق على كل ما يتمتع به، فلا وجه لما قيل من أن المراد به: العارية، أو الفتوى، أو المصحف، والإشارة بقوله: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ إلى سؤال المتاع من وراء حجاب، وقيل: الإشارة إلى جميع ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع، وذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن أكثر تطهيرا لها من الريبة، وخواطر السوء التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، وفي هذا أدب لكل مؤمن، وتحذيراً له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه [3].

وقوله تعالى: "﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ جائز أن يكون المعنى الذي يكون أطهر لقلوب الرجال، غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن: ذلك المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهم: من الفجور والهم لقضاء الشهوة، وما تدعوه النفس إليه، ﴿**أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾: من العداوة والضغينة، لا الفجور وقضاء الشهوة؛ وذلك أنهن قد عرفن أنهن لا يحللن لغيره نكاحًا؛ لما اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها،

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله "لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم"، ج119/6: رقم الحديث 4792.

(2) انظر، جامع البيان، الطبري، ج314/20.

(3) انظر، فتح القدير، للشوكاني، ج343/4.

وقد وعدن على ارتكاب الفاحشة بضعفين من العذاب، على ما ذكر، وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك فإذا كان كذلك، فإذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين إليهن نظر الشهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة فيقول: السؤال من وراء الحجاب أطهر لقلوبكم من الفجور والريبة وأطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة، واللَّه أعلم، وجائز أن يكون ذلك واحدًا، وهو الريبة والفجور؛ لما مكن فيهن من الشهوات، وركب فيهن من فضل الدواعي إلى ذلك، واللَّه أعلم"[1].

واسم التفضيل في قوله تعالى: ﴿ أَطْهَرُ﴾ مستعمل للزيادة دون التفضيل، والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن، فإن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبيء ﷺ ، ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أضعف أسبابها، وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن ﷺ فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية عنهن بقطع دابرها ولو بالفرض.

وأيضاً فإن للناس أوهاماً وظنوناً سوأى تتفاوت مراتب نفوس الناس فيها صرامةً ووهناً، ونفاقاً وضعفاً، كما وقع في قضية الإفك المتقدمة في سورة النور فكان شرع حجاب أمهات المؤمنين قاطعا لكل تقول وإرجاف بعمد أو بغير عمد، ووراء هذه الحكم كلها حكمة أخرى سامية، وهي زيادة تقرير معنى أمومتهن للمؤمنين في قلوب المؤمنين التي هي أمومة جعلية شرعية بحيث إن ذلك المعنى وهو كونهن أمهات يرتد وينعكس إلى باطن النفس أنهن غير متصورات إلا بعنوان الأمومة فلا يزال ذلك المعنى الروحي ينمي في النفوس، حتى يصبح معنى أمهات المؤمنين معنى قريباً في النفوس من حقائق المجردات كالملائكة، وهذه حكمة من حكم الحجاب الذي سنه الناس لملوكهم في القدم ليكون ذلك أدخل لطاعتهم في نفوس الرعية [2].

هذه الآية هي شارعة حكم محادثة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن من وراء حجاب لغير ذات محرم، وبها تتحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين المركب من ملازمتهن بيوتهن وعدم ظهور شيء من ذواتهن، وهذا من باب إكرام الله لهن ، وتمام حفظه وتشريفاً لبيت النبوة الطاهر.

---

(1) تأويلات أهل السنة، تفسير الماتريدي، ج407/8.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج92/22.

المطلب الرابع: حرمة نكاحهن بعد وفاة النبي ﷺ

تتوالى آداب الله تعالى لعباده، حفاظاً على أهل النبي المصطفى، وإكراماً لهن بحرمة نكاحهن بعد وفاة النبي ص وتشديد الأمر في ذلك، ويتبين هذا من خلال هذه الآية:

قال تعالى: ﴿... **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: 53].

﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ**﴾ أي وما صحَّ وما استقامَ لكُم ﴿ **أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ**﴾ أي أنْ تفعلُوا في حياتِه فعلاً يكرهه ويتأذَّى به ﴿ **وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ أي من بعدَ وفاتِه أو فراقِه ﴿ **إِنَّ ذَلِكُمْ**﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكر منْ إيذائِه ﷺ ونكاحِ أزواجِهِ من بعده، وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الشرِّ والفسادِ،﴿ **كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ أي أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يُقادر قدرُه، وفيهِ من تعظيمِه تعالى لشأنِ رسوله ﷺ وإيجابِ حُرمتِه حيَّاً ومَيِّتاً مالا يخفى ولذلكَ بالغَ تعالى في الوعيدِ حيثُ قال:﴿ **إِن تُبْدُواْ شَيْئاً**﴾ ممَّا لا خيرَ فيه كنكاحهنَّ على ألسنتِكم ﴿ **أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ في صدورِكم ﴿**فَإِنَّ الله كَانَ بِكُلّ شَىْء عَلِيماً**﴾ فيجازيكم بما صدرَ عنكُم من المعاصِي البادِيةِ والخافيةِ لا محالَة وفي هذا التعميمِ مع البُرهانِ على المقصودِ مزيدُ تهويلٍ وتشديدٍ ومبالغةٍ في الوعيدِ[1].

قال تعالى كلمة جامعة وقاعدة عامة وهي: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ**﴾ يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء ﴿ **أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ**﴾ أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، ﴿**وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه ﷺ ، له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته مخل بهذا المقام، وأيضاً فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده، لأحد من أمته. ﴿ **إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: ﴿ **إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾، ثم قال: ﴿ **إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ أي: مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم، فإن الله يعلمه؛ فإنه لا تخفى عليه خافية، ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: 19].

---

(1) انظر، إرشاد العقل السليم ، تفسير أبي السعود، ج113/7.

ثم قال تعالى: ﴿ **إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا**﴾ أي تظهروه ﴿ **أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ يعلم ما في قلوبكم، وما أظهرتموه، فيجازيكم عليه [1].

وتضمنت هذه الآية حكمين: أحدهما: تحريم أن يؤذوا رسول الله ﷺ ، والأذى: قول يقال له، أو فعل يعامل به، من شأنه أن يغضبه أو يسوءه لذاته، والمعنى: أن أذى النبي عليه الصلاة والسلام محظور على المؤمنين ، والحكم الثاني: تحريم أزواج رسول الله ﷺ على الناس بقوله تعالى: ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهو تقرير لحكم أمومة أزواجه للمؤمنين السالف في قوله: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب:6].

وإنما شرعت الآية أن حكم أمومة أزواج النبي ﷺ للمؤمنين حكم دائم في حياة النبيء عليه الصلاة والسلام أو من بعده ،ولذلك اقتصر هنا على التصريح بأنه حكم ثابت من بعد، لأن ثبوت ذلك في حياته قد علم من قوله: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [الأحزاب:6].

وإضافة البعدية إلى ضمير ذات النبي عليه الصلاة والسلام تعين أن المراد بعد حياته كما هو الشائع في استعمال مثل هذه الإضافة، فليس المراد بعد عصمته من نحو الطلاق لأن طلاق النبي ﷺ أزواجه غير محتمل شرعا لقوله: ﴿**وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**﴾ [الأحزاب:52].

وأكد ظرف (بعد) بإدخال من الزائدة عليه، ثم أكد عمومه بظرف أبدا، ليعلم أن ذلك لا يتطرقه النسخ ثم زيد ذلك تأكيدا وتحذيرا بقوله: إن ذلكم كان عند الله عظيما، فهو استئناف مؤكد لمضمون جملة ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ**﴾، وتقييد العظيم بكونه عند الله؛ للتهويل والتخويف لأنه عظيم في الشناعة، وعلة كون تزوج أحد المسلمين إحدى نساء النبي ﷺ إثما عظيما عند الله، أن الله جعل نساء النبي عليه الصلاة والسلام أمهات للمؤمنين فاقتضى ذلك أن تزوج أحد المسلمين إحداهن له حكم تزوج المرء أمه، وذلك إثم عظيم، وإذن فالله هو الذي يتولى الأمر، وهو عالم بما يبدو وما يخفى، مطلع على كل تفكير وكل تدبير، والأمر عنده عظيم [2].

فقوله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ كلام جامع تحريضاً وتحذيراً ومنبيء عن وعد ووعيد، فإن ما قبله قد حوى أمراً ونهياً، وإذ كان الامتثال

---

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص670.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج22/93-94.

متفاوتاً في الظاهر والباطن وبخاصة في النوايا والمضمرات كان المقام مناسباً لتنبيههم وتذكيرهم بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم في ذلك، وعلى كل شيء، فالمراد من شيئا الأول شيء مما يبدونه أو يخفونه، وهو يعم كل ما يبدو وما يخفى لأن النكرة في سياق الشرط تعم، والجملة تذييل لما اشتملت عليه من العموم في قوله: بكل شيء، وإظهار لفظ شيء هنا دون إضمار؛ لأن الإضمار لا يستقيم لأن الشيء المذكور ثانيا هو غير المذكور أولا، إذ المراد بالثاني جميع الموجودات، والمراد بالأول خصوص أحوال الناس الظاهرة والباطنة، فالله عليم بكل كائن ومن جملة ذلك ما يبدونه ويخفونه من أحوالهم [1].

توَّج الله تعالى زوجات النبي ﷺ بحفظ دائم أبداً، لما شرعه من أحكام للمسلمين، يزدادون وقاراً وإجلالاً لأهل بيت النبوة الكريم، لأنهن زوجات خير الخلق على مر الأزمان إلى يوم القيامة، فرضي الله عنهن أجمعين.

المطلب الخامس: لبس الجلابيب الساترة وإدنائها عليهن

وأيضاً من باب حفظ الله لأمهات المؤمنين أن شرع لهن الحجاب، إكمالاً لحجاب التقوى الذي كان يزينهنَّ، ورعاية لأهل بيت النبوة الكريم، ونلمح هذا من خلال الآية الآتية:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: 59].

سبب نزول الآية: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ»[2].

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هنَّ– خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛ لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول، إذ

(1) انظر، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2879/5.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله" لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم"، ج120/6: رقم الحديث 4795.

كانت عادة العربيات التبذل في معنى الحجبة وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعياً إلى نظر الرجال إليهن وتشعب الفكر فيهن، أمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأمرهن بإدناء الجلابيب، ليقع سترهن ويبين الفرق بين الحرائر والإماء.

وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ**﴾ حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي، وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت قنعها الذرة محافظة على زي الحرائر، وباقي الآية ترجية ولطف وحث على التوبة وتطميع في رحمة الله تعالى، وفيها تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الأمر المشروع[1].

هذا الأمر جاء موجهاً أولاً لأزواج النبي، ثم لبناته ﷺ ، وهذا يعني أن رسول الله لا يأمر أمته بشيء هو عنه بنجوى، إنما يأمرهم بشيء بدأ فيه بأهل بيته، وهذا أدْعَى لقبول الأمر وتنفيذه، فقبل أنْ آمركم أمرت نفسي فلم أتميز عنكم بشيء.

وورود النص القرآني بلفظ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ...**﴾ دليل على أن سيدنا رسول الله كان ينقل النص الذي جاءه، والصيغة التي تكلَّم الله بها دون أنْ يُغيِّر فيها شيئاً، وإلا فقد كان بإمكانه أن ينقل الأمر لأزواجه، فيقول: يا أيها النبي أزواجك وبناتك يدنين عليهن من جلابيبهن. إنما نقل النص القرآني كما أُنزل عليه؛ ليعلم الجميع أن الأمر من الله، وما محمد إلا مُبلِّغ عن الله، فمَنْ أراد أنْ يناقش الأمر فليناقش صاحبه، وأزواج النبي ﷺ ، ساعة نزلتْ عليه هذه الآية كُنَّ تسعة أزواج، كرَّمهن الله وخيَّرهن فاخترْنَ رسول الله، كان منهن خمس من قريش هُنَّ: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وثلاث من سائر العرب هُنَّ: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت جحش، وجُويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وواحدة من نسل هارون أخي موسى – عليهما السلام – هي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب.

وبعد أن أمر الحق سبحانه أزواج النبي ﷺ وبناته أولاً بهذا الأدب ثنَّى بنساء المؤمنين، فقال ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ لأن أسرة رسول الله ليست أزواجه وبناته فحسب، إنما العالم كله، ثم يذكر سبحانه الأمر الذي وُجِّه إلى زوجات النبي، وبناته ونساء المؤمنين جميعاً ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب: 59] فالفعل {يُدْنِينَ} مجزوم في جواب الطلب "قُلْ"، وفي الآية شرط مُقدَّر: إنْ تَقُلْ لهُنَّ ادنين يُدنين، لأن الخطاب هنا للمؤمنات، وعلى رَأْسِهن أزواج النبي وبناته، وإنْ لم يستجب هؤلاء للأمر، فقد اختلَّ فيهِنَّ شرط الإيمان.

---

(1) انظر، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية، ج399/4.

ومعنى: الإدناء: تقريب شيء من شيء، ومن ذلك قوله تعالى في وصف ثمار الجنة ﴿**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة: 23] أي: قريبة التناول سَهْلة الجَنْي، والمراد: يُدنين جلابيبهن أي: من الأرض لتستر الجسم. وقوله: ﴿**عَلَيْهِنّ**﴾ يدل على أنها تشمل الجسم كله، وأنها ملفوفة حوله مسدولة حتى الأرض[1].

وهيئات لبس الجلابيب مختلفة باختلاف أحوال النساء تبينها العادات، والمقصود هو ما دل عليه قوله تعالى:﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**﴾، والإدناء: التقريب، وهو كناية عن اللبس والوضع، أي يضعن عليهن جلابيبهن.

وكان لبس الجلباب من شعار الحرائر فكانت الإماء لا يلبسن الجلابيب، وكانت الحرائر يلبسن الجلابيب عند الخروج إلى الزيارات ونحوها فكن لا يلبسنها في الليل وعند الخروج إلى المناصع، وما كن يخرجن إليها إلا ليلاً فأمرن بلبس الجلابيب في كل خروج؛ ليعرف أنهن حرائر فلا يتعرض إليهن شباب الدعار يحسبهن إماء أو يتعرض إليهن المنافقون استخفافاً بهنَّ بالأقوال التي تخجلهن فيتأذين من ذلك، وربما يسببن الذين يؤذونهن فيحصل أذى من الجانبين، فهذا من سد الذريعة، والإشارة ب "ذلك" إلى الإدناء المفهوم من يدنين، أي ذلك اللباس أقرب إلى أن يعرف أنهن حرائر بشعار الحرائر فيتجنب الرجال إيذاءهن فَيَسْلَمُوا وتَسْلَمْن، وكان عمر بن الخطاب مدة خلافته يمنع الإماء من التقنُّع كي لا يلتبسن بالحرائر ويضرب من تتقنَّع منهنَّ بالدرة ثم زال ذلك بعده، والتذييل بقوله:﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ صفح عما سبق من أذى الحرائر قبل تنبيه الناس إلى هذا الأدب الإسلامي، والتذييل يقتضي انتهاء الغرض[2].

فما أحوجنا اليوم للتمسك بأمر الله في الحجاب، كما فعلن نساء العهد الأول من الإسلام، حيث توَّجَهُنَّ الله بلباس الستر فأصبح لباسهنَّ التقوى، فكان امتثالهن لأمر الله استشعاراً لرحمته وحفظه، رضي الله عنهن أجمعين.

---

(1) انظر، تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ج12166/19.

(2) انظر، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية، ج399/4.

الفصل الثالث

نماذج من الصحابة والصحابيات

في القرآن الكريم

المبحث الأول

نماذج من الصحابة في القرآن الكريم

المطلب الأول: أبو بكر الصديق ﷺ

لقد اصطفى الله تعالى لصحبة نبيه محمد ﷺ نجوم الاهتداء، وأئمة الاقتداء، الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، ونُبيِّنُ في هذا المبحث، أولى الناس بالصحبة وصاحب المقام الرفيع أبو بكر الصديق ﷺ .

اسمه ولقبه

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، ويلتقي مع النبي ﷺ في النسب في الجد السادس مرة بن كعب، ويكنى بأبي بكر، وهي من البكر وهو الفتى من الإبل، والجمع بكارة وأبكر وقد سمَّت العرب بكراً، وهو أبو قبيلة عظيمة، ويذكر نسبه عند أَبِيهِ رَضِي اللَّه عَنْهُمَا، قيل اسمه: عتيق، وقيل : هو لقب، لعتاقة وجهه، أو لِقِدَمِه في الإسلام[1].

فضله ومكانته

أفضل الصحابة على الإطلاق، وله من المناقب والفضائل ما يصعب حصرها، هو أوَّلُ من أسلم من الرجال، كثرت النصوص في فضله وإمامته وإيمانه وتبشيره بالجنة، كان أحب الناس إلى الرسول ﷺ ، قدَّمه ليصليَ بالمسلمين في مرض موته، وأمره أن يحج بالناس سنة ثمان للهجرة[2].

ومما يدلل على علو مكانته وعظيم فضله ما تلفَّظ به الحبيب ﷺ : (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلًا)[3].

---

(1) انظر، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج330/3، الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر، ج32/6، تاريخ الخلفاء، الحافظ السيوطي، ص81، أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، الصلابي، ج18/1.

(2) انظر، الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ ابن حجر، ج32/6، تاريخ الخلفاء، الحافظ السيوطي، ص81، أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، الصلابي، ج18/1.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج1855/4: رقم الحديث 383.

ولقد اختار الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ أطهر الناس قلوباً، وأشرفهم نفوساً، وقد بذلوا دونه مهجتهم وأرواحهم، وكان أفضلهم نفساً، وأرجحهم عقلاً، وأرفعهم منزلة ومكانة، وأقربهم مجلساً من رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

ومن فضائل أبي بكر رضي الله عنه التي صدَّرها التاريخ لنا نبراساً، جعلت المؤمن التقي النقي الذي يريد أن يسارع إلى ربه جلَّ في علاه، يحتذي حذو ما فعل أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، العظيم المعظم من قبل رسول الله ﷺ ، لقد وردت الآثار أن النبوة والوحي لو لم تنزل على رسول الله لنزلت على مثل هذا الرجل؛ لأنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ في خلقه، سمته، عمله، قلبه، تصديقه، يقينه بالله جل في علاه [1].

وفاته:

توفي أبو بكر الصديق بعد أن بقي خليفة مدة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، توفي بعد أن مرض وقد قام خلال هذه المدة القصيرة برد المرتدين وحربهم والتي شملت أجزاء الجزيرة كلها ثم كانت الحروب مع الفرس والروم أظهرت قوة المسلمين وإمكاناتهم القتالية التي لا يستهان بها، ودفن بجانب النبي ﷺ في حجرة عائشة فكان مع صاحبه كما كان معه في الدنيا، فجزاه الله عن الأمة الإسلامية خيراً ورضي الله عنه وأرضاه[2].

الآيات الواردة في فضله

1-قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة:40.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "لقد تفضل سبحانه وتعالى على نبيه الكريم ﷺ وبيَّن أنه سبحانه نصر سيدنا محمد ﷺ وهو في موطن ضعف وقلة جنود، وهذا عتاب من الله تعالى بعد انصراف نبيه عليه السلام من تبوك، أي إن تركتم نصره فالله يتكفل به، إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة، وقيل: فقد نصره الله بصاحبه في الغار بتأنيسه له وحمله على عنقه، وبوفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله" [3].

---

(1) انظر، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج2/2.

(2) انظر، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج68/3.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج143/8.

وفي قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، لما اختفى الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رجال مكة في رحلة الهجرة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب، فهما في تلك الحالة الحرجة شديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، أنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال، إذ قال النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، لا تحزن إن الله معنا بعونه ونصره وتأييده، فأنزل الله سكينته عليه ثباتاً وطمأنينة، ولهذا لما خاف صاحبه سكَّنه وقال ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ وأيدهم سبحانه بجنود لم يروها وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرساً له، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ساقطة مخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول ﷺ ، وأخذه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه، وجعل سبحانه كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ سورة الروم: 47، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** ﴾ سورة غافر:51، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ سورة الصافات:173، فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر، والله عزيز لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، حكيم يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدُّوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي ﷺ ، كافراً؛ لأنه منكر للقرآن الذي صرَّح بها، وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته[1].

2-**وقوله تعالى:** ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ سورة النور:22.

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص337.

وهذه الآية نزلت في الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال في حديث الإفك، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه، شرع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، بعطف الصديق على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد تكلم بكلام تاب الله عليه منه، وضرب الحد عليه، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف، له الفضل على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ **أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب –يا ربنا –أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، في مقابلة ما كان قال: (والله لا أنفعه بنافعة أبداً)، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن ابنته[1].

وقال سيد قطب رحمه الله في ظلال هذه الآية:" أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق– رضي الله عنه– أبي بكر الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحى: ﴿**أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟**﴾ حتى يرتفع على الآلام، ويرتفع على مشاعر الإنسان، ويرتفع على منطق البيئة، وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور الله، فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، ويحلف والله لا أنزعها منه أبداً، ذلك في مقابل ما حلف: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، بذلك يمسح الله على آلام ذلك القلب الكبير، ويغسله من أوضار المعركة، ليبقى أبداً نظيفاً طاهراً زكياً مشرقاً بالنور"[2].

هذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة على الإطلاق، فقد زهد في الدنيا وتركها في سبيل متابعته لهذا الدين ودفاعه عن رسول الله ﷺ ، صدَّق الرسول حين كذَّبه الناس، وواساه حين تركه الناس، بدايته في الإسلام رفيقاً لرسول الله، ونهاية حياته في الدنيا أن

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج31/6، الكشاف، الزمخشري، ج222/3.
(2) في ظلال القرآن، ج2505/4.

استخلف على المسلمين، فحفظ الله به الدين، وأقام به الملة، فقد حارب المرتدين ومانعي الزكاة، وأرسل الجيوش لفتح فارس والروم[1].

فسبحان الله تعالى الذي جعل هذا القرآن آخر كتاب، ليتلى في كل زمان ومكان، فهذه الآية تعلِّمنا بأن الذي يعصي الله فينا لا نكافئه إلا بأنْ نطيع الله فيه، وحين نترك مَنْ أساء إلينا لعقاب الله ونعفُو عنه، فإنما نجلُّ الله تعالى أولاً ،لأننا نترك من أساء إلينا لله الذي اسمه العدل، وفي امتثال أمر هذه الآية صلاح المجتمعات بأسرها، لأنها إن عفت القلوب ساد التراحم والمحبة فالأمان.

وكان قدوتنا في هذا الباب خير صحابة الرسول محمد ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

المطلب الثاني: عبد الله بن أم مكتوم

لقد اختار الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ أفضل الخلق وأصفاهم نفسا وأعلاهم قدراً، ترجلوا بعلمهم ومكانتهم من رسول الله ﷺ وهذا نموذج آخر من صحابة رسول الله ﷺ مؤذن يصدح بالحق ليل نهار وهو الصحابي الجليل **عبد الله ابن أم مكتوم**.

- **نسبه ولقبه:** " هو عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ قَيْسِ بْنِ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصْرَمِ بْنِ هَرِمِ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حُجَيْرِ بْنِ مُعَيْدِ بْنِ مُعِيصِ بْنِ عَامِرِ بنِ لُؤَيٍّ القرشي"[2].

- **فضله ومكانته:** كَانَ قديم الإسلام بمكة وهاجر إِلَى المدينة، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةِ، وَمَعَهُ اللِّوَاءُ، كَانَ يَرْتَجِزُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّتِهِ حِينَ طَافَ بِالْبيت، وأعطاه النبي ﷺ لواء المدينة[3].

الآيات التي نزلت في الصحابي عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى[1] أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى [2] وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى [3] أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى[4] أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى [5] فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى [6] وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى [7] وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى [8] وَهُوَ يَخْشَى [9] فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى [10]** ﴾ سورة عبس: 1-10.

---

(1) انظر، فضائل الصحابة، محمد الغفار، ج1/3.

(2) معجم الصحابة للبغدادي ج204/2، الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج154/4، التاريخ الكبير، البخاري، ج7/5.

(3) انظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ج901/3.

سبب نزول الآية: " عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس:1] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَرْشِدْنِي قَالَتْ: وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ ويُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا فُلَانُ أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا فَيَقُولُ: لَا؛ فنزلت ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى**﴾ [1].

وسبب نزول صدر هذه السورة أن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا؛ فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو مع رجل من عظمائهم قيل: هو الوليد بن المغيرة وقيل: عتبة بن ربيعة وقيل: أمية بن خلف، إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى كلامه، فعبس وأعرض عنه. وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ ، فنزلت[2].

وعاتب الله تعالى نبيه الكريم لمجرد أنه عبس في وجهه، فكان تعظيماً من الله سبحانه لابن أم مكتوم، وهذا العتاب يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء وانكسار قلوب الفقراء، وذكره رضي الله عنه بلفظ الأعمى ليس لتحقير شأنه، بل كأنه قيل: إنه بسبب عماه استحق مزيد الرفق والرأفة[3].

قال السعدي "وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر، فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره" [4].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة عبس، ج432/5: رقم الحديث،3331، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبي حاتم الدارمي، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان، ذكر ما يستحب للمرء الإقبال على الضعفاء...، ج293/2: رقم الحديث535. وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، باب العفو، ج32/2: رقم الحديث 536.

(2) انظر، التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي، ج452/2.

(3) انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، ج52/31.

(4) تيسير الكريم الرحمن، ص910.

وقال ابن عاشور" وهو اقتصار النبي ﷺ على الاعتناء بالحرص على تبليغ الدعوة إلى من يرجو منه قبولها مع الذهول عن التأمل فيما يقارن ذلك من تعليم من يرغب في علم الدين ممن آمن، ولما كان صدور ذلك من الله لنبيه ﷺ لم يشأ الله أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام، فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثاً على أن يترقب المعني من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله برسوله ﷺ ليقع العتاب في نفسه مدرجاً وذلك أهون وقعاً، ونظير هذا قوله: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ** ﴾ [التوبة: 43]."[1]

هذه هي رعاية الله تعالى لنبيه الكريم ولهذا الصحابي الجليل، الذي أكرمه سبحانه بمعاتبة نبيه فيه، وهو افضل الخلق ﷺ ، وأعظمهم خلقاً وأدباً، وما ذلك إلا أنهم خير صحبة على وجه الأرض، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

ومن الأدب العظيم الذي يعلمنا إياه ديننا الحنيف أن نهى عن العبوس في وجه رجل أعمى لا يرى، فكيف لو كان يرى.

وآية أخرى تبين فضل ومكانة الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم، تُظهر صفاء نفسه وشدة حبه وتعلقه بالجهاد في سبيل الله ، رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء:95.

سبب نزول الآية:

"عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء:95] ﴿**وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [النساء:95] "، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ – وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى – فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ

(1) التحرير والتنوير، ج105/30.

حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ**﴾ [النساء: 95]"[1].

ومعنى الآية: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد، التفات بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه وإن كان معلوماً، لكن أراد سبحانه بهذا الإخبار، تنشيط المجاهدين ليرغبوا، وتبكيت القاعدين ليأنفوا، ودلت الآية على أن أولي الضرر مساوون للمجاهدين في الأجر وهم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر[2].

قال السعدي:" أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر، وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج ، والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يحدث نفسه بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر، ومن كان عازماً على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل، ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع كل شر"[3].

وهذا بيان لحال هذا الصحابي رضي الله عنه، في بيان حرصه على الثبات على الدين في كل أمور دينه، وهذا بين في سؤاله للنبي ﷺ أول ما سمع الآية، وهذا يدل على علو همته في الوصول الى معالي الأمور، حتى ان لم يقدر على العمل الذي يوصله الى جميل ثواب الله لعباده المجاهدين، رضي الله عنه وأرضاه.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى، {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر}، إلى قوله تعالى، {غفورا رحيما} ، ج25/4: رقم الحديث2832.

(2) انظر، إرشاد العقل السليم، أبي السعود، ج220/2، فتح القدير، الشوكاني، ج580/1، محاسن التأويل، القاسمي، ج284/3.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص195.

المطلب الثالث: زيد بن حارثة

ومع نجم آخر من نجوم الهدى، الصحابي الجليل زيد بن حارثه رضي الله عنه، الصحابي الذي ذكر الله اسمه صراحة في القرآن الكريم، وشرفه سبحانه بهذه المنزلة العظيمة، بأن يتلى اسمه في كتاب الله تعالى على مر العصور والأزمان.

اسمه ونسبه: " زيد بْن حارثة بْن شراحيل بْن كعب ابن عبد العزى بْن امرئ القيس بْن عامر بْن النعمان بْن عامر بْن عبد ود بْن عوف بْن كنانة بْن بكر بْن عوف بْن عذرة بْن زيد اللات بْن رفيدة بْن ثور بْن كلب بْن وبرة بْن تغلب بْن حلوان بْن عمران بْن لحاف بْن قضاعة، وأمه سعدي بنت ثعلبة بْن عبد عامر بْن أفلت من بني معن من طيئ، ويكنى أبو أسامة"[1].

قصة مجيئ زيد للنبي ﷺ

عن ابن عباس قال خرجت سعدى بنت ثعلبة أم زيد بن حارثة، وهي امرأة من بنى طيئ تزور قومها، وزيد معها، ، فأغارتْ خيلٌ لبني القَينِ بنِ جسرٍ في الجاهليةِ، فمرُّوا على أبياتِ بني مَعنٍ رهطِ أُمِّ زيدٍ، فاحتَمَلوا زيداً وهو يومئذٍ غلامٌ يَفَعَةٌ قد أوصفَ، فوافوا به سوقَ عُكاظٍ فعَرَضوهُ للبيعِ، فاشتراهُ مِنهم حكيمُ بنُ حزامِ بنِ خُويلدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزى بنِ قُصيٍّ لعمَّته خديجةَ بنتِ خويلدِ بأربعِمائةِ ، فلما تزوجها، رسول الله ﷺ وهبته له، فقبضه[2].

وقدْ كانَ أبوهُ حارثةُ بنُ شراحيلَ حين فقدَهُ قال:

"بكيتُ على زيدٍ ولم أَدْرِ ما فعلْ ... أحيٌّ فيُرجى أَم أَتى دونَه الأجلْ

فو اللهِ ما أَدري وإنْ كنتُ سائلاً ... أَغالَكَ سهلُ الأرضِ أم غالَكَ الجبلْ

تُذكِّرنيه الشمسُ عندَ طُلوعِها ... وتَعرضُ ذِكراهُ إذا قاربَ الطَّفَلْ

وإنْ هبَّت الأرواحُ هيَّجْن ذِكرَه ... فيا طولَ ما حُزني عليه ويا وجلْ

سأُعمِلُ نصَّ العِيسِ في الأرضِ جاهداً ... ولا أسأمُ التَّطْوافَ أو تسأمَ الإبلْ

حَياتي أو تأْتي عليَّ منيَّتي ... وكلُّ امرئٍ فانٍ وإنْ غرَّه الأملْ

---

(1) أسد الغابة، ابن الأثير، ج350/2، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج542/2.

(2) انظر، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، ج408/12، الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، نبيل جرار، ج41/4.

سأُوصـــي بـــه قيســـاً وعَمـــراً كِليهمـــا وأُوصـــي يزيـــداً ثـــم بعـــدَهمُ جبـــلْ"[1]

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني يزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، فحج ناس من كلب، فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي فقال:

"أَحِـــنُّ إلـــى قَـــومي وإنْ كُنـــتُ نائيـــاً فـــإنِّي قطـــينُ البيـــتِ عنـــدَ المشـــاعرِ
فكفُّـــوا مِـــن الوَجْـــدِ الـــذي قـــدْ شـــجاكُمُ ولا تُعْمِلـــوا فـــي الأرضِ نَـــصَّ الأبـــاعرِ
فـــإنِّي بحمـــدِ اللهِ فـــي خيـــرِ أُســـرةٍ كـــرامٍ معـــدٍّ كـــابراً بعـــدَ كـــابرِ"[2]

فانطلق الكلبيون، فأعلموا أباه فقال: ابني ورب الكعبة، ووصفوا له موضعه، وعند من هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه، وقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، قال: ومن هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ : فهلا غير ذلك! قالوا: وما هو؟ قال: أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً.

قالا: قد زدتنا على النصف، وأحسنت، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم.

قال: من هذا؟ قال: هذا أبي، وهذا عمي، قال: فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما، قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وعلى أهل بيتك! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: يا من حضر، اشهدوا أنَّ زيداً ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودعي زيد بن محمد حتى جاء الإسلام، فدعي يومئذ زيد بن حارثة، ودعي الأدعياء إلى آبائهم[3].

---

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النوري، ج184/16، خزانة الأدب ولب لباب العرب، البغدادي، ج306/2.

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النوري، ج184/16.

(3) انظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج544/2.

فضله ومكانته

حِبُّ رسول الله ﷺ ، وهو أول من آمن به من الموالي؛ فإنه من كبار السابقين الأولين وكان من الرماة المذكورين، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، وهو الذي سماه الله في كتابه باسمه في قوله: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا**﴾ يعني من زينب بنت جحش: ﴿**زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ [الأحزاب: 37] ، وكان المسلمون يدعونه زيد بن النبي ﷺ حتى نزلت: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب: 40].

أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بالإسلام، وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق، وكان أول من أسلم بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خيره رسول الله ﷺ بين أن يرجع مع أبيه إلى أهله أو يقيم مع النبي ﷺ ، فاختار النبي ﷺ فلم يزل معه حتى هاجر، وشهد بدراً وأحداً، والمشاهد حتى استشهد بمؤتة، سنة ثمان من الهجرة، كان يسمى زيداً الحب، كان حِبُّ رسول الله ﷺ ، أمَّره رسول الله ﷺ على جيشه في سرية مؤتة[1].

الآيات التي نزلت فيه

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ [الأحزاب: 37].

قوله تعالى مخبراً عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه، إنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو الذي أنعم الله عليه بالإسلام، ومتابعة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعمت عليه بالعتق من الرق، وكان سيداً كبير الشأن جليل القدر، حبيباً إلى النبي ﷺ ، يقال له الحب، ويقال لابنه أسامة الحب ابن الحب، قالت عائشة رضي الله عنها: ما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمَّره عليهم، ولو عاش بعده لاستخلفه، وكان رسول الله ﷺ قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية –وأمها أميمة بنت عبد المطلب –، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما، جَاءَ زَيْدٌ يَشْكُو فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا فَاسْتَأْمَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

(1) انظر، معرفة الصحابة، أبي نعيم الأصفهاني، ج1136/3، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج131/2.

وَاتَّقِ اللَّهَ}"[1]، قال الله تعالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾[2].

والنبي ﷺكان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلِّق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكَّى زيد للنبي ﷺخلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله ﷺعلى جهة الأدب والوصية: (اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك) وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شيءٍ قد أباحه الله له، بأن قال: ﴿ **أَمْسِكْ**﴾ مع علمه بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال[3].

لقد كرم الله تعالى الصحابي الجليل زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ إذ ذكر اسمه صراحة في كتابه العزيز، وهذا إنما يدل على مزيد فضل لصحابي تربى في بيت النبوة، ولقب بحبِّ رسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وما زلنا مع الشموس المضيئة، نستضيئ بها في حياتنا اقتداء بها، وهي صحبة النبي محمد ﷺ،ونذكر هنا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص.

اسمه ونسبه

سعد بن أبي وقاص: مالك بن أهيب بن عبد مناف، بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق[4].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب، ومن سورة الأحزاب، ج354/5: رقم الحديث3212. وقال عنه «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ». وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج2012/7: رقم الحديث3212.

(2) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج424/6، فتح القدير، الشوكاني، ج327/4.

(3) انظر، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج190/14.

(4) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج92/1.

فضله ومكانته

كان سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد ستة، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رَسُول اللَّهِ ﷺ وأبلى يَوْم أحد بلاءً عظيماً، وهو أول من أراق دمًا في سبيل اللَّه، وأول من رمى بسهم في سبيل اللَّه.

وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض.

وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، تخاف دعوته وترجى، لا يشك في إجابتها ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته. عن قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عن سَعْدٍ، أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: " اللَّهُمَّ استَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ [1]".

وكَانَ لا يَدْعُو إِلا اسْتُجِيبَ لَهُ، وكَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ مِنْهُ وَيَخَافُونَ دُعَاءَهُ وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وذلك في سرية عبيدة بن الحارث، وكان معه يومئذ المقداد بن عمرو، وعتبة بن غزوان.

وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش، الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، وهو الذي كوف الكوفة ولقى الأعاجم، وتولى قتال فارس، أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك، ففتح الله على يده أكثر فارس، وله كان فتح القادسية وغيرها.

ومات سعد بن أبي وقاص في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة، وحمل إلى المدينة على أعناق الرجال، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم، رضي الله عنه وأرضاه[2].

الآيات التي نزلت في سعد بن أبي وقاص

سبب النزول: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: كَانَتْ أُمِّي حَلَفَتْ أَنْ لَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ حَتَّى أُفَارِقَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**﴾ [لقمان: 15] . وَالثَّانِيَةُ: أَنِّي كُنْتُ أَخَذْتُ سَيْفًا أَعْجَبَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَبْ لِي هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**﴾ [الأنفال: 1] . وَالثَّالِثَةُ: أَنِّي مَرِضْتُ

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج649/5: رقم الحديث3751. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، كتاب المناقب، بَابُ مَنَاقِبِ الْعَشَرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ج1728/3: رقم الحديث6125.

(2) انظر، مشاهير علماء الأمصار، أبو حاتم الدارمي، ص25.

فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْسِمَ مَالِي، أَفَأُوصِي بِالنِّصْفِ؟ فَقَالَ: «لَا» ، فَقُلْتُ: الثُّلُثُ؟ فَسَكَتَ، فَكَانَ الثُّلُثُ بَعْدَهُ جَائِزًا. وَالرَّابِعَةُ: إِنِّي شَرِبْتُ الْخَمْرَ مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَضَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْفِي بِلَحْيِ جَمَلٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّﷺ فَأَنْزَلَ عَزَّ وَجَلَّ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ [1].

الآية : ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان: 15].

ومعنى الآية: وإن جاهداك أي: اجتهد والداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما، ولا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق الله مقدم على حق كل أحد، ولا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق، ولم يقل سبحانه وتعالى وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما، بل قال: فلا تطعهما أي بالشرك، وأما برَّهما، فاستمر عليه، ولهذا قال سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفا صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وهما بحالة الكفر فلا تتبعهما بالمعاصي، ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ وهم المؤمنون بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، المستسلمون لربهم، المنيبون إليه.

واتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى الله، التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى الله، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي الله، ويقرب منه، ثم مرجعكم الطائع والعاصي، والمنيب، وغيره الى الله فلا يخفى على الله من أعمالهم خافية[2].

قال أبو الطيب القنوجي في قوله:" ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ ما لا علم لك بشركته، وذكر هذا القيد موافقة للواقع، ولا مفهوم مخالفته له، إذ ليس لله شريك يعلم لأنه مستحيل، فلا تطعمها في ذلك لأنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة، ولا ترك فريضة على الأعيان؛ وتلزم طاعتهما في المباحات، وصاحبهما في الدنيا أي في أمورهما التي لا تتعلق بالدين، ما دمت حياً، صحاباً معروفاً ببرهما إن كانا على دين يقران عليه، وصاحبهما بمعروف وهو البر والصلة، والعشرة الجميلة، والخلق الجميل، والحلم والاحتمال، وما يقتضيه مكارم الأخلاق، ومعالي الشيم" [3].

---

(1) صحيح الأدب المفرد، الإمام البخاري، باب بر الوالد المشرك، ج22/1.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص،648

(3) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج285/10.

رضي الله عن الصحابي سعد بن أبي وقاص، فقد ضرب مثالاً رائعاً في الثبات على الدين، رغم حبه الشديد لأمِّه وبرِّه لها، هؤلاء الذين جعلهم الله نوراً يقتدى بهم بعد الرسول محمد ﷺ ، صدقوا الله فصدقهم رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

المطلب الخامس: عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه

ومع صحابي جليل شهد بدراً، وعشق الجهاد في سبيل الله تعالى حتى اصطفاه الله تعالى في غزوة أحد.

اسمه ونسبه

"عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن حرام بْن ثعلبة بْن حرام بْن كعب بْن غنم بْن سَلَمة بْن سعد بْن عليّ بْن أسد بْن ساردة بْن تزيد بْن جشم بْن الخزرج الْأَنْصَارِيّ الخزرجي السلمي، يكنى أبا جَابِر، بابنه جَابِر بْن عَبْد اللَّه " [1]

فضله ومكانته

كان نقيباً، وشهد العقبة ثم بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً، وصلَّى عليه رسول الله ﷺقبل الهزيمة، وهو أول قتيل قتل من المسلمين يومئذ، ودفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد، هو والد جابر بن عبد الله كلم الله روحه بالكفاح، وأظلت الملائكة جسمه بالجناح، قاتل المشركين بالجد والثبات فقتلوه محتسباً عن تسع من البنات[2].

ما نزل فيه من الآيات

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة آل عمران: 169-170].

سبب النزول

عن طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ قال: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: "يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِيكَ؟ " قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج343/3.

(2) انظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج954/3، معرفة الصحابة، أبي نعيم،ج1717/3.

عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...**﴾ [آل عمران: 169][1].

يخبر سبحانه وتعالى عباده بأن الذين قُتِلُواْ في سَبِيلِ ليسوا أمواتاً كسائر الأموات بل أحياء عند ربهم، لأنه يُكْتب لهم أجرهم إلى يوم القيامة، وهم أحياء في الآخرة، وروي عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « لما أُصيب إخوانُكم بأحُدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في جَوْفِ طَيرٍ خُضْر تَرِدُ أنهارَ الجَنةِ: تأكلُ من ثمارِها، وتَأوي إلى قَناديلَ من ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظلّ العرشِ، فلما وجَدُوا طِيْبَ مأكَلِهم ومَشربِهم ومَقِيلِهم، قالوا: من يُبلِّغُ إخوانَنا عنّا أنا أحياءٌ [في الجنةِ] نُرزقُ، لئلا يَزهَدُوا في الجهاد ولا يَنكُلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أَنا أُبلغهم عنكُم، قال: فأنزلَ اللهُ عزَّ وجل: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...**﴾ [آل عمران:169] "[2]، فَرِحِينَ أي معجبين بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أي من رزقه في الجنة وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ من إخوانهم من بعدهم أن يأتوهم، ثم رجع إلى الشهداء فقال تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلهم ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا من الدنيا وهم في مقامهم ذاك فَرِحِينَ معجبين بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [3].

هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ أي في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله، لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة ، بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم أحياء عند ربهم في دار كرامته، ولفظ: ﴿ **عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا فرحين بما آتاهم الله من فضله، مغتبطين بذلك، قد قرت

---

(1) سنن ابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ج83/4: رقم الحديث 2800. وقال عنه الألباني، حسن صحيح، صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الشهادة، وما جاء في فضل الشهداء، ج133/2: رقم الحديث 1361.

(2) سنن أبي داود، أبوداود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، ج15/3: رقم الحديث2520. صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، حرف اللام، ج924/2: رقم الحديث5205.

(3) انظر، بحر العلوم، السمرقندي، ج264/1.

به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله، فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ويستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور، يهنىء بعضهم بعضاً بأعظم مهنأ به، وهو نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بل ينميه ويشكره، ويزيده من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم[1].

رحم الله الصحابي عبد الله بن عمرو بن حرام حيث كان نموذجاً فريداً في الفداء والتضحية عن دين الله سبحانه وتعالى، ولم يخش الموت في سبيل دعوة الحق، فرضي الله عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ.

(1) انظر، أضواء البيان، الشنقيطي، ج217/1، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص156.

المبحث الثاني

نماذج من الصحابيات في القرآن الكريم

المطلب الأول: عائشة رضي الله عنها

نتحدث عن أم المؤمنين زوج النبي ﷺ ، وأحب نسائه إلى قلبه، وابنة رفيق درب النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ، والهجرة والجهاد في سبيل الله، العفيفة الطاهرة العالِمة الفقيهة عائشة رضي الله عنها.

اسمها ونسبها:

"عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ وأشهر نسائه، وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية" [1].

فضلها ومكانتها:

عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ ، المبرأة من فوق سبع سموات، عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بكر، وبنى بها بالمدينة ولم يتزوج بكراً غيرها، تزوجها بنت ست، ودخل بها وهي بنت تسع على رأس سبعة أشهر بعد مقدمِهِ المدينة، فكانت الزوجة الوفية، كبرت عائشة – رضي الله عنها – ونضجت واستوت عقلاً وفهمًا وإدراكًا، فكانت سيدة بيت رسول الله – ﷺ– ترعى شؤونه وتدبر أموره وتواسيه حين تجب المواساة، وتطيعه في توجيهاته وتحفظ عنه الكثير من أقواله، وتتأسى بأفعاله، وتقوم بأمور بيت الزوجية خير قيام، وعرف رسول الله – ﷺ– لها ذلك الفضل فكانت أحب نسائه إليه، وعرف فيها الذكاء والوفاء والوعي والفهم، توفي ﷺعنها وهي بنت ثمان عشرة سنة[2].

عن أبي عثمان النهدي، عن عمرو بن العاص سمعه يقول: قلت لرسول الله ﷺ:" أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها"[3]، ومن حديث أبي موسى

---

(1) أسد الغابة، ابن حجر العسقلاني، ج186/7.

(2) انظر، معرفه الصحابة، أبي نعيم، ج3208/6، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج8/1.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق، ج109/7: رقم الحديث6253.

الأشعري وحديث أنس عن النبي ﷺ، قال:(فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) [1].

وفاتها:

توفيت رضي الله عنها سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، أمرت أن تدفن ليلا، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله وعروة ابنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله ابن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فالله أعلم. ذكر ذلك صالح بن الوجيه، والزبير، وجماعة من أهل السير والخبر [2].

الآيات التي نزلت في عائشة: براءة عائشة رضي الله عنها

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (11) **لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ** (12) **لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ** (13) **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (14) **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** (15) **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** (16) **يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (17) **وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [النور: 11 – 18].

حديث الإفك

ولقد كان حديث الإفك من أشد وأصعب ما واجهت عائشة – رضي الله عنها – في حياتها، ومن أقسى ما تعرض له بيت النبوة إلى أن تنزلت آيات الله – تعالى – في سورة النور تكشف الغمة وتبددها.

فلقد خرج النبي – ﷺ– في جيش من المسلمين في المدينة إلى ديار بني المصطلق لتأديبهم ومعاقبتهم على ما كان منهم ، وكان سهم الخروج من نصيب عائشة من بين أزواجه، وحين تم النصر للمسلمين على بني المصطلق الذين لقوا جزاء غدرهم ونفاقهم ووزعت الغنائم

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، ج138/7: رقم الحديث6380.
(2) انظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج1885/4.

والأسلاب وقد التقى عند حوض المساء كان يستقي من المسلمين أحد الأنصار وأحد المهاجرين فتزاحما وتنافرا وكاد خصامهما يؤدي إلى اشتباك بين المؤمنين. ومما زاد في تأجيج نار الفتنة ما قاله رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعز منها الأذل.

وسمع أحد المسلمين تلك المقالة وشهد الحادثة ومن ثم رأى بوادر الفتنة فأسرع إلى رسول الله ﷺينقل له الخبر وما قاله ابن سلول فرأى – عليه الصلاة والسلام – أنَّ من الحكمة أن يشغل الناس عن الفتنة بالمسير على الفور بعد أن أقاموا للاستراحة، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه حديث الإفك، فعن أمّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ

مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ – وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ –، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي

دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي[1].

البراءة من السماء

وفتر الوحي وتوقف مدة عن رسول الله ﷺ، مما جعل لألسنة السوء والفحشاء مجالاً وميدانًا فسيحًا، ولم يبق أمام رسول الله ﷺإلا المواجهة فعزم على الذهاب إلى دار أبي بكر – رضي الله عنه – وكانت عائشة تبكي وبجوارها امرأة من الأنصار، فكفكفت دمعها ومسحت عينيها، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في صحيح مسلم، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِﷺ ، مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنَنِي وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ عليه السلام ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: 18]، قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أُنْزِلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ[2] مِنَ الْعَرَقِ،

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول...، ج2129/4: رقم الحديث 2770.

(2) الْجُمَانِ، خرز من فضَّة فَارسي مُعرب وَقد تَكَلَّمت بِهِ الْعَرَب قَدِيما، وَقد سميت الدرة جمانة، انظر، جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، ج495/1. والمعنى، شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن. انظر، شرح محمد فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ج2129/4: رقم الحديث 2770.

فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ**﴾ مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**﴾ [النور: 22]، قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا[1].

ثم أمر رسول الله – ﷺ – بالأشخاص الذين كانوا يروجون ويفترون ويقذفون فنالوا جزاءهم، وعادت الطاهرة البريئة إلى بيتها وإلى مقامها في قلب رسول الله – ﷺ – وإلى مكانتها الرفيعة في نفوس المسلمين جميعًا[2].

معاني الآيات

يقول تعالى مخاطباً عباده، إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان جماعة منكم أيها الناس، لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجاً، ولكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم، بمجيئه بما جاء به، والأولى عبد الله بن أبي سلول، الذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم وهو الذي بدأ بالخوض فيه[3].

وقوله: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾.

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية :"ولمَّا عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن، وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبنى الأمر فيها على الظن

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول...، ج2129/4: رقم الحديث 2770.
(2) انظر، أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، خالد الحمودي، ص14.
(3) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج115/19.

لا على الشك، وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير، هذا إفك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال، وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات"[1].

﴿**لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾ أي هلَّا جاء الرامون على ما رموا به، بأربعة شهداء عدول مرضيين، فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك، فإنهم كاذبون في حكم الله، لأن الله حرم عليهم التكلم بذلك، من دون أربعة شهود، ولهذا قال: ﴿**فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ ولم يقل " فأولئك هم الكاذبون " وهذا كله، من تعظيم حرمة عرض المسلم، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه، من دون نصاب الشهادة بالصدق.

ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة بحيث شملكم إحسانه فيهما، في أمر دينكم ودنياكم، لمسَّكم فيما خضتم فيه من شأن الإفك عذاب عظيم لاستحقاقكم ذلك بما قلتم، ولكن من فضل الله عليكم ورحمته، ان شرع لكم التوبة، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب

﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**﴾ تلقفونه، ويلقيه بعضكم إلى بعض، وتستوشون حديثه، وهو قول باطل، ﴿ **وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾ والأمران محظوران، التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتحسبونه هينا فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا منه، وتطهروا بعد ذلك، وهو عند الله عظيم، وهذا فيه الزجر البليغ، عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإنَّ العبد لا يفيده حسبانه شيئاً، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقعته مرة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**﴾ وهلا إذ سمعتم –أيها المؤمنون– كلام أهل الإفك قلتم منكرين لذلك، معظمين لأمره: {ما يكون لنا أن نتكلم بهذا} أي: ما ينبغي لنا، وما يليق بنا الكلام، بهذا الإفك المبين، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح ، ويعظكم الله أن تعودوا لنظيره من رمي المؤمنين بالفجور، فالله يعظكم وينصحكم عن ذلك، ونعم المواعظ والنصائح من ربنا، فيجب علينا مقابلتها بالقبول والإذعان، والتسليم والشكر له، على ما بين لنا والله تعالى نعمًّا يعظكم به إن كنتم مؤمنين، ويبين الله لكم الآيات المشتملة على بيان الأحكام، والوعظ، والزجر، والترغيب، والترهيب، يوضحها لكم توضيحاً جلياً، والله عليم كامل العلم عام

(1) الكشاف، ج218/3.

الحكمة، فمن علمه وحكمته، أن علمكم من علمه، وإن كان ذلك راجعاً لمصالحكم في كل وقت[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين، فيعم المؤمنين والمنافقين والمشركين، فهو تحذير للمؤمنين وإخبار عن المنافقين والمشركين، وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيها على أن محبة ذلك تستحق العقوبة، لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيراً حتى يصدر عنه ما هو محب له أو يسر بصدور ذلك من غيره، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه، وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار، وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف وعذاب الآخرة وهو أظهر لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة، وتلك المحبة شيء غير الهم بالسيئة وغير حديث النفس لأنهما خاطران يمكن أن ينكف عنهما صاحبهما، وأما المحبة المستمرة فهي رغبة في حصول المحبوب، فالوعيد هنا على محبة وقوع ذلك في المستقبل كما هو مقتضى قوله تعالى: أن تشيع لأن (أن) تخلص المضارع للمستقبل، وأما المحبة الماضية فقد عفا الله عنها بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 14].

وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلونه، ولولا فضل الله عليكم وإحاطته بكم من كل جانب ورحمته عليكم وأن الله رءوفٌ رحيمٌ لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ، والحكم الجليلة، ولما أمهل من خالف أمره، ولكن فضله ورحمته، وأن ذلك وصفه اللازم آثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي، ما لن تحصوه، أو تعدوه[2].

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص563.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج184/18.

هذه هي مكانة الصادقة بنت الصديق رضي الله عنهما، فقد برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة، إكراماً وإجلالاً لزوجة خير البشرية على وجه الأرض سيدنا محمد ﷺ .

المطلب الثاني : حفصة رضي الله عنها

الصوَّامة القوَّامة زوج النبي ﷺ ، بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأخت عبد الله بن عمر، وكانت من المهاجرات.

اسمها ونسبها

"حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وهي من بني عدي بن كعب، أصيلة الحسب والنسب وفي الذروة من قريش مكانةً، وأمها وأم أخيها عبد الله بن عمر: زينب بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون" [1].

فضلها ومكانتها

أقامت حفصة رضي الله عنها في بيت النبوة فأدت قسطه وحقه من الإخلاص والوفاء والسمع والطاعة والتقوى والعبادة، وقد تزوجها النبي ﷺ بعد أن تأيَّمت[2] سنة ثلاث من الهجرة، حيث كانت قبل رسول الله ﷺ تحت حنيس بن حذافة السهمي، وكان ممن شهد بدرا، وتوفي بالمدينة، وقد شهدت السماء لحفصة رضي الله عنها بالمثل الأعلى في التدين والتقوى، حين قال جبريل – عليه السلام – لرسول الله – ﷺ – عنها: «رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ » [3].... ولقد حجت حجة الوداع مع رسول الله – ﷺ – ثم لما اختاره الله تعالى إلى جواره الكريم كانت رضي الله عنها كلما أذن مؤذن الحج من كل عام فهيأت لزيارة البيت العتيق وأداء المناسك من طواف وسعي وغير ذلك، ثم التصدق على الفقراء والمساكين فتنفق بلا حساب لأن ما عند الله تعالى خير وأبقى فكان كل ما يقسم لها فيء وما يأتيها من

---

(1) أسد الغابة، ابن حجر العسقلاني، ج67/7.

(2) تأيَّمت: الأيِّم: هي الْمَرْأَة الَّتِي لَا زوج لَهَا، وَقد تأيمت الْمَرْأَة إِذا مَاتَ البعل عَنْهَا أَو طَلقهَا. انظر، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص171.

(3) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، ج802/2: رقم الحديث4351.

أعطيات الخلفاء تجعله في ميزان حسناتها يوم القيامة بصرفه على المساكين والضعفاء والمحتاجين[1].

وفاتها رضي الله عنها

في العام الخامس والأربعين من الهجرة النبوية الشريفة وافاها الأجل المحتوم إثر إرهاق ومرض، ولبَّت نداء ربَّها وأسلمت الروح لبارئها، وكانت جنازة مشهودة، حُمِلَت على سرير في نعش إلى المسجد، كبار الصحابة يتبعونها بصمت وإجلال ووقار وصلَّى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة في ذلك الحين، ودفنت في البقيع وجلس مروان بن الحكم ينتظر حتى فرغ من دفنها رضي الله عنها، ونزل في قبرها أخواها عبد الله وعاصم ابنا عمر بن الخطاب، رضي الله عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب الصوَّامة القوَّامة، وبارك مثواها وأكرم نزلها وألحقنا بها في الصالحين من عباده[2].

ما نزل فيها من القرآن

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** [1] **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** [2] **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** [3] **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ** [4] **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**[5] ﴾ [سورة التحريم: 1-5].

سبب النزول: عن أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها أخبرت أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً، قَالَت: فَتَوَاطَأْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ، فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ، فَنَزَلَ: ﴿ **لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ**

(1) انظر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ج1811/4، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج10/1.

(2) انظر، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج11/1.

لَكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: **﴿إِنْ تَتُوبَا﴾** لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، **﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾**، لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً"[1].

وعن عبد الله بن عباس، قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لمَّا اعتزل نبي الله ﷺ نساءه، دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون: طلَّق رسول الله ﷺ نساءه! وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم ... فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة، ووعظه إياهما، إلى أن قال: فدخلت، فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكُفَّة[2] المشربة، فناديت فقلت: يا رباح، استأذن لي على رسول الله ﷺ ... فذكر نحو ما تقدم، إلى أن قال: فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلما تكلمت –وأحمد الله–بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي، ونزلت هذه الآية، آية التخيير: ﴿ **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾**، وقوله: ﴿ **وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾** فقلت: أطلقتهن؟ قال: "لا". فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: 83] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر[3].

معنى الآيات

افتتاح السورة بخطاب النبي ﷺ بالنداء تنبيه على أن ما سيذكر بعده مما يهتم به النبيء ﷺ والأمة، ولأن سبب النزول كان من علائقه، فالله سبحانه يخاطب نبيه محمداً ﷺ بقوله لما تحرمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ تبتْغِى مَرْضَاتَ أزواجك والله غَفُورٌ مبالِغٌ في الغفرانِ قد غفرَ لكَ هذهِ الزلةَ، رَّحِيمٌ قد رحمَكَ ولم يؤاخِذْكَ بهِ، وإنما عاتبكَ محاماةً على عصمتِك، و شرعَ لكُم تحليلَ أيمانكم، وهو حَلُّ ما عقدَهُ بالكفارةِ، والله مولاكم سيدكُم ومتولِّ

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الطلاق، باب إذا حرم الرجل عليه امرأته، ج184/4: رقم الحديث 3669.

(2) أُسْكُفَّةُ: هي عتبة الباب التي يُوطأ عليها. انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، ج3136/5.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء، وتخييرهن..، ج1105/2: رقم الحديث1479.

ي أُمورِكُم، وَهُوَ العليم بما يصلحكم، فبشرعه لكُم المتقنُ في أفعالِهِ وأحكامِهِ فلا يأمرُكُم ولا ينهاكُمْ إلا حسبما تقتضيه الحِكمةُ[1].

﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ**﴾ وهي حفصةُ في حديث تحريمِ العسلِ، فَلَمَّا أخبرتْ حفصةُ عائشةَ بالحديثِ وأفشته إليهَا، وأطلعَ الله تعالَى النبيَّ عليهِ الصلاةَ والسلامُ على إفشاءِ حفصةَ، عَرَّفَ النبيُّ عليهِ الصلاةَ والسلامُ حفصةَ بعضَ الحديثِ الذي أفشَتْهُ وَأَعْرَضَ عَن تعريفِ بعضٍ تكرماً، فلما أخبرَ النبيُّ عليهِ الصلاةَ والسلامُ حفصةَ بما عرفَهُ من الحديثِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هذا، أي إفشاءَهَا للحديثِ، قَالَ نَبَّأَنِيَ العليم الخبير، الذي لا تَخفى عليهِ خافيةٌ [2].

﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه ﷺ م عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سبباً لتحريم النبي ﷺ على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من الورع والأدب مع الرسول ﷺ واحترامه، وأن لا يشققن عليه، وان تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكن،﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ أي: الجميع أعوان للرسول ﷺ مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه أعواناً لهذا الرسول الكريم ﷺ ، وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضاً بحالة تشقُّ على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق، الذي هو أكبر شيء عليهن، فقال: ﴿ **عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ** ﴾ فلا ترفعن عليه، فإنه لو طلَّقكن لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطراً إليكنَّ، فإنه سيبدله الله أزواجاً خيراً منكنَّ ديناً وجمالاً، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهنَّ، ولو طلقهنَّ، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب.

والقنوت هو دوام الطاعة واستمرارها، تائبات عما يكرهه الله، فوصفهنَّ بالقيام بما يحبُّه الله، والتوبة عما يكرهه الله، ﴿ **ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا** ﴾ أي: بعضهن ثيب، وبعضهن أبكار، ليتنوع ﷺ فيما يحب، فلما سمعن –رضي الله عنهن– هذا التخويف والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله ﷺ ، فكان هذا الوصف منطبقاً عليهنَّ، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أنَّ

(1) انظر، جامع البيان، للطبري، ج480/23.

(2) انظر، ارشاد العقل السليم، أبي السعود، ج268/8.

الله لا يختار لرسوله ﷺ إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله ﷺ بقاء نسائه المذكورات معه دلَّ على أنهنَّ خير النساء وأكملهنَّ رضي الله عنهنَّ أجمعين[1].

كانت حفصة رضي الله عنها الستر الرفيع، وكانت شريفة عاقلة ذات حسب وجمال ودين رضي الله عنها، وعن أمهات المؤمنين.

المطلب الثالث : زينب بنت جحش رضي الله عنها

لقد اختار الله تعالى لرفقة نبيه محمد ﷺ أفضل النساء أدباً وخلقاً وأصالةً، فكانت من بينهنَّ زينب رضي الله عنها وأرضاها.

اسمها ونسبها

" زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ أخت عبد الله بن جحش، وهي أسدية من أسد بن خزيمة، وأمُّها أُمَيْمة بنت عبد المطلب، عمَّة النبي ﷺ ، وتكنَّى أم الحكم" [2].

فضلها ومكانتها

كانت زينب بنت جحش زينة فتيات مكة تتباهى بأصالتها وطيب عنصرها، فقد جمعت المجد من طرفيه قمة في فصاحة اللسان، وذروة في الفضائل والأخلاق، أسلمت وآمنت وبايعت وظلت عزباء، إذ ردت كثيرًا من الأيدي التي تقدمت لها، لأنها لا تجد فيمن رغب بالزواج منها تكافؤًا اجتماعيًا، تزوجها النبي ﷺ بعد زيد رضي الله عنه، ومن فضائل زينب رضي الله عنها أنها كانت لها شهرة رضي الله عنها بشأن الصدقة، فما كانت لترضى أن تبيت درهمًا في دارها قبل أن تتصدق به على من هو بحاجة إليه، تنفق كل ما يصل إلى يدها من عطاء تقربًا إلى الله تعالى واقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ [3].

زواج النبي منها

لما انقضت عدَّة زينب من زيد، أرسل رسول الله – ﷺ – خادمته سلمى لتخبر زينب برغبته – عليه الصلاة والسلام – بالزواج منها، فلما سمعت زينب بذلك خرَّت ساجدة وقد استبدت بها الفرحة ثم أعطت الخادمة التي بشرتها هدايا قيمة ثمينة جزاء ما أخبرتها الخبر الطيب، الخبر الذي كانت تنتظره منذ أمد بعيد كي تنال الحظوة والشرف العظيم وتدخل في

---

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص872.

(2) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج126/7.

(3) انظر، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج6/1.

عداد أمهات المؤمنين، وتتفيأ ظلال بيت النبوة الكريم، وكانت وليمة عرس زينب أعظم الولائم التي أولمها رسول الله – ﷺ – عند زواجه من زينب، إذ ذبح فيها شاة ودعا إلى الوليمة ما يزيد عن سبعين رجلاً من جلة أصحابه، وكبار إخوانه حتى قيل إنه لم يبق في المسجد يومها أحد إلا وحضر الطعام[1].

وفاتها

كانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به كما أخبر رسول اللهﷺ كما في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :_«أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا_زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ[2] . وتوفيت سنة عشرين للهجرة، أرسل إليها عمر بن الخطاب اثني عشر ألف درهم، كما فرض لنساء النبي ﷺ فأخذتها وفرَّقتها في ذوي قرابتها وأيتامها، ثم قالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا! فماتت، وصلَّى عليها عمر بن الخطاب، ودخل قبرها أسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أحمد بن جحش، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها[3].

ما نزل بشأنها من آيات

- قوله تعالى:﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا * إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 52–54].

سبب نزول الآيات: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: " لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ، فَلَمْ يَقُومُوا فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ، وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ

(1) انظر، فضائل الصحابة، محمد عبد الغفار، ج6/1.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين، ج1907/4: رقم الحديث2452.

(3) انظر، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج154/8، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج126/7، معرفة الصحابة، أبي نعيم، ج3222/6، معرفة الصحابة، ابن منده، ص960.

جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا، فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} [الأحزاب: 53] الآيَةَ " [1].

معاني الآيات

قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ**﴾ هذه الآية شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي ﷺ ، أي لا تدخلوا بيوت النبي في حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذوناً لكم، ولا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم، وقوله تعالى ﴿**إِلَى طَعَامٍ**﴾ متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء، للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وإن تحقق الإذن كما يبين قوله تعالى ﴿**غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ أي غير منتظرين وقته أو إدراكه، ﴿**وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا**﴾ هذا استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن، وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه، ﴿**فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا**﴾ فتفرقوا ولا تلبثوا لأنه خطاب لقوم كان يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم، وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته ﷺ بإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمرهم ﴿**وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ أي لحديث بعضكم بعضاً أو لحديث أهل البيت بالتسمع له، إن ذلكم الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذى النبى ﷺ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله، وإيجابه للاشتغال بما لا يعنيه، وصده عن الاشتغال بما يعنيه، فيستحيي من إخراجكم، ﴿ **وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ فإنه يستدعي أن يكون المستحى منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لا أنفسهم، وما ذاك إلا إخراجهم، فينبغي أن لا يترك حياءً، ولذلك لم يتركه تعالى، وأمركم بالخروج[2].

يقول القاسمي:" قد يكون معنى قوله ﴿**غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ نهياً لهم أن يدخلوا- مع كونهم مأذوناً لهم ومدعوين- قبل الميعاد المضروب لهم حضورهم فيه عجلةً وانتظاراً لنضج الطعام، فإن ذلك مما يؤذي قلب صاحب الدعوة، لشغل هذه الحصة معهم بلا فائدة، إلا ضيق صدر الداعي وأهله، وشغل وقته وتوليد حديث، وتكلفاً لكلام لا ضرورة له، وإطالة زمن الحجاب على

---

(1) متفق عليه، صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ، (لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ..)، ج118/6: رقم الحديث4791. وصحيح مسلم، مسلم، كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، ج1050/2: رقم الحديث 1428.

(2) انظر، روح البيان، المولى أبو الفداء، ج213/7، فتح القدير، الشوكاني، ج341/4.

نسائه، وما ذلك إلا من شؤم التعجيل قبل الوقت، ولذلك قال تعالى ﴿**وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا**﴾ أي إذا دعيتم إلى الدخول في وقته، فادخلوا فيه لا قبله ولا بعده، ف (لكن) استدراك من النهي عن الدخول، مع الإذن المطلق الذي هو الدعوة بتعليم أدب آخر، وإفادة شرط مهم، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حيناً ووقتاً يجب أن يراعى زمنه"[1].

وليس ذكر الدعوة إلى طعام تقييداً لإباحة دخول بيوت النبي ﷺ لا يدخلها إلا المدعو إلى طعام، ولكنه مثال للدعوة وتخصيص بالذكر كما جرى في القضية التي هي سبب النزول، فيلحق به كل دعوة تكون من النبي ﷺ وكل إذن منه بالدخول إلى بيته لغير قصد أن يطعم معه، كما كان يقع ذلك كثيراً، وإنما ذكر الطعام إدماجاً لتبيين آدابه، ولذلك ابتدئ بقوله تعالى: ﴿**غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ**﴾ مع أنه لم يقع مثله في قصة سبب النزول[2] .

وبيَّن تعالى حكمة النهي وفائدته فقال: ﴿**إِنَّ ذَلِكُمْ**﴾ أي انتظاركم الزائد على الحاجة، ﴿**كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ**﴾ ويتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه ﴿**فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ**﴾ أن يقول لكم " اخرجوا " كما هو جاري العادة، أن الناس –وخصوصًا أهل الكرم منهم– يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، ولكن اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدباً وحياءً، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء، والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان، فهذا أدبهم في الدخول في بيوته ﷺ [3].

لقد كرم الله زينب رضي الله عنها في نزول هذه الآية في صبيحة عرسها، مبيناً تعالى آداب تخص بيوت رسول الله ﷺ ، مراعاة لحالها رضي الله عنها وأرضاها.

المطلب الرابع: خوله بنت ثعلبة رضي الله عنها

وتتوالى عناية الله تعالى بصحبة نبيه الكريم ﷺ بنزول قرآن يتلى على مرِّ الأزمان في شأن الصحابيات رضوان الله عليهنَّ، رعايةً منه سبحانه ورحمةً بهذه الصحبة المطهرة، وحديثنا عن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

---

(1) محاسن التأويل، ج99/8.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج82/22.

(3) انظر، تيسير الكريم المنان، السعدي، ص670.

اسمها ونسبها

" خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصارية الخزرجية" [1].

فضلها ومكانتها

خولة رضي الله عنها وأرضاها، سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، فنزلت آيات بشأنها رحمة من الله تعالى بها، فقد كان الصحابة الكرام يجلُّونها ويسمعون حديثها، " ومرَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بخولة أيام خلافته، فقالت له: قف يا عمر، فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها، وأطالت الوقوف، وأغلظت له القول: أي قالت له هيهات يا عمر، عهدتك وأنت تسمي عميراً وأنت في سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال لها الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: دعها. وفي رواية فقال له قائل: حبست الناس لأجل هذه العجوز، قال: ويحك، وتدري من هذه؟ قال لا، قال: هذه امرأة قد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تنقضي حاجتها[2].

الآيات التي نزلت في شأنها

قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ [المجادلة: 1-2].

سبب النزول: عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ [المجادلة: 1] [3].

---

(1) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج404/12، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج114/8، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج92/7.

(2) انظر، إنسان العيون في سيرة النبي المأمون، أبو الفرج نور الدين، ج43/3.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى، {وكان الله سميعا بصيرا} [النساء، 134]، ج117/9.

وعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: فِيَّ – وَاللَّهِ – وَفِي أَوْسِ بْنِ صَامِتٍ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُوَ يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ، قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِمَا تَغْلِبُ بِهِ الْمَرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْضِ جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَاتَّقِي اللَّهَ فِيهِ» ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولُ اللَّهِﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ فَقَالَ لِي: «يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ» ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة:1] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾ [البقرة:104] ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ، قَالَ: «فَلْيَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ صِيَامٍ، قَالَ: «فَلْيُطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، وَسْقًا مِنْ تَمْرٍ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا ذَاكَ عِنْدَهُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّا سَنُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْرٍ» ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ، قَالَ: «قَدْ أَصَبْتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهَبِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّكِ خَيْرًا» ، قَالَتْ: فَفَعَلْتُ"[1].

معاني الآيات

نزلت هذه الآيات الكريمات في خولة رضي الله عنها حينما شَكَت زوجها إلى رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة، والأولاد، وكان هو رجلاً شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت، فقال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾ أي تخاطبكما فيما بينكما، إن الله سميع لجميع الأصوات، في جميع الأوقات، على تفنن الحاجات، بصير

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ج45/300-302: رقم الحديث 27319، وصحيح ابن حبان، كتاب الطلاق، باب الظهار، ج10/107: رقم الحديث 4279. وحسنه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، كتاب الطلاق، باب الظهار، ج3/328: رقم الحديث 4265.

يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها، ولهذا ذكر حكمها، وحكم غيرها على وجه العموم، فقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ**﴾ والمظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: "أنت علي كظهر أمي" أو غيرها من محارمه، أو "أنت علي حرام" وكان المعتاد عندهم في هذا لفظ "الظهر" ولهذا سماه الله "ظهاراً" أي كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم أنه لا حقيقة له، فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟ ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال: ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا** ﴾ أي قولاً شنيعاً، كذباً، ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾ عمَّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح[1].

رضي الله عن الصحابية خولة بنت ثعلبة وزوجها، فقد ضربت مثالاً رائعاً في صدق التوكل على الله في إجابة دعائها ورجائها، وهذا يدلُّ على حسن سريرتها وقبولها عند الله تعالى، ومثالاً آخر في حفظ حدود الله تعالى، وأنها لا تفعل أمراً اختلف عليها الحكم فيه إلا بعد استشارة النبي محمد ﷺ ، فرضي الله عنها وعن الصحابة أجمعين.

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص843.

الفصل الرابع
فضل الله على الصحابة والصحابيات
في الدنيا والآخرة

المبحث الأول

فضل الله على الصحابة والصحابيات في الدنيا

المطلب الأول: كان الله حسبهم وكافيهم

لقد شملت عناية الله تعالى لنبيه الكريم محمد ﷺ ، عنايته لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فكان فضل الله عليهم واضحاً جلياً في آيات الكتاب العزيز، ومن ذلك أنَّ الله كان حسبهم وكافيهم، ومما يدلُّ على ذلك من آيات ما يأتي:

• قال تعالى: ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا** ﴾ [النساء: 84].

هذا خطاب الله تعالى لنبيه الكريم له في اللفظ، وفي المعنى له ولأمتِّه، أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك مأمور بالقتال في سبيل الله، فلا تكلَّف غير نفسك ولا تلزم فعل غيرك، وهو استئناف مقرر لما قبله، لأنَّ اختصاص تكليفه بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده، وحرِّض المؤمنين وحضهم أيُّها الرسول الكريم على القتال والجهاد، عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا وهذا فيه إطماع للمؤمنين بكفِّ بأس الذين كفروا عنهم، والاطماع من الله عزَّ وجلَّ واجب، فهو وعدٌ منه سبحانه، ووعده كائنٌ لا محالة، والله أشدُّ صولة، وأعظم سلطاناً وأشدُّ عقوبة وعذاباً للكافرين[1].

يقول محمد رشيد رضا:" عسى هنا تدلُّ على الإعداد والتهيئة لأنَّ الترجي الحقيقي محال على العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، فهي بمعنى الخبر والوعد، وخبره تعالى حقٌّ لأنه لا يخلف الميعاد، والبأس القوة، وكان بأس الكافرين موجهاً إلى إذلال المؤمنين، لأجل الإيمان لا لذواتهم وأشخاصهم، فتأييد الإيمان متوقف على كف بأسهم، وكفه متوقف على تصدي المؤمنين للجهاد"[2].

وقوله سبحانه: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ هو رجاء يتعلَّق به النبي ﷺ والمجاهدون معه، فالنبي ﷺ والمؤمنون الذين يجاهدون معه على رجاء من عون الله لهم، ونصرهم على أعدائهم، وأنَّ هؤلاء الأعداء إن كانوا أولى قوة وأولى بأسٍ شديدٍ، فالنبي ﷺ والمسلمون يشدّون رجاءهم إلى قوة فوق هذه القوة، وإلى بأسٍ أعظم من هذا البأس، قوة الله،

(1) انظر، فتح القدير، الشوكاني، ج569/1.

(2) تفسير المنار، ج247/5.

وبأس الله ﴿**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾ و"عسى" وعد منه سبحانه وتعالى محقَّق الإنجازِ بكفِّ شدةِ الكفرة ومكرهم، فإنَّ ما صدر بلعلَّ وعسى مقرَّرُ الوقوعِ من جهته عزَّ وجلَّ[1].

• وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المائدة: 11].

يُذكِّرُ تعالى عباده المؤمنين بِنِعمه العظيمة، ويحثُّهم على تذكُّرها بالقلب واللسان، وأنهم كما يَعُدُّون قتلهم لأعدائهم، وَأَخْذِ أموالهم وبلادهم وسَبْيِهِم نعمة، فليعدُّوا أيضاً إنعامه عليهم بكفِّ أيدي الكفار عنهم؛ وردِّ كيدهم في نحورهم نعمة، فإنهم الأعداء قد همُّوا بأمرٍ وظنُّوا أنهم قادرون عليه، فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه ويذكروه، وهذا يشمل كل من همَّ بالمؤمنين بشر، من كافرٍ ومنافقٍ وباغٍ، كفَّ الله شرَّه عن المسلمين، فإنه داخلٌ في هذه الآية، ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال تعالى ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ أي يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ويتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون، وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها[2].

ونعمة كفِّ أيدي المشركين هي منَّة عامة، يجب أن يشكرها له _عزَّ وجلَّ_ كل مؤمن إلى يوم القيامة؛ لأنَّ حفظه لأولئك السلف الصالح هو عين حفظه لهذا الدين القويم، فالنبي ﷺ قد بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وأصحابه هم الذين تلقُّوها عنه بالقبول، وأدُّوها لمن بعدهم بالقول والعمل، ومن فوائد هذا التذكير للمتأخرين ترغيبهم في التأسِّي بسلفهم في القيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والإحسان، واحتمال الجهد والصبر على المشاق في هذه السبيل، وهي سبيل الله، وهذا هو المعنى العام للجهاد في سبيل الله، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ عطفٌ على ما قبله؛ أي اذكروا نعمة الله تعالى عليكم بعنايته بكم؛ ﴿**إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ**﴾ أي شارفوا أن يمدُّوا أيديهم إليكم بالقتل، فكفَّ أيديهم عنكم، فلم يستطيعوا تنفيذ ما همُّوا به وكادوا يفعلونه من الإيقاع بكم، واتقوا الله الذي أراكم قدرته على أعدائكم وقت ضعفكم وقوتهم، وتوكَّلوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بمن يكلون أمورهم إليه بعد مراعاة سننه، والسير عليها في اتقاء كل ما يخشى ضرُّه وسوء عاقبته، وعلى الله فليتوكل

(1) انظر، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج894/3.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص224.

المؤمنون بقدرته وعنايته وفضله ورحمته، لا على أنفسهم، ولا على أوليائهم وحلفائهم؛ لأن هؤلاء قد يغدرون؛ ولأن أنفسهم قد يكثر عليها الأعداء، وتتقطع بها الأسباب، فتقع بين أمواج الحيرة والاضطراب، حتى تفقد البأس، وتجيب داعي اليأس، ولا يقع هذا للمؤمن المتوكل على الله تعالى؛ لأنه إذا همَّ أن ييأس من نفسه بتقطع الأسباب، وتغليق الأبواب، وتغلُّب الأعداء، وتقلُّب الأولياء، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله، وأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه، فتتجدد قوته، وتنفتق حيلته، فيفرُّ منه اليأس، ويتجدد عنه ما وجد من البأس، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الإيمان والذكرى والتوكل، وما يخذل به عدوه ويلقي في قلبه من الرعب، وبغير ذلك من ضروب عنايته عزَّ وجلَّ التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكملة، مع سيد المتوكلين محمد ﷺ أيام ضعفهم وقلَّتهم وفقرهم، وتألُّب الناس كلُّهم عليهم[1].

• وقال تعالى: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾ [الفتح: 20]

يخبر سبحانه عباده المؤمنين بوعده إيَّاهم بمَغانِمَ كَثِيرَةً يأْخُذُونَها، يعني ما يفيء عليهم من غنائم الكفار في سبيل الجهاد، فَعَجَّلَ لَهم غنائم خيبر، وأما الغنائم المؤخرة فسائر فتوح المسلمين بعد ذلك الوقت إلى قيام الساعة، وقيل: المعجلة هي صلح الحديبية، والصواب هو الأول، لأنَّ المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها، من فتح خيبر وغنائمها، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ أيدي أهل خيبر، فانتصرتم عليهم، وَلِيكُونَ هذا النصر آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ولتكون تلك الكفَّة والغنيمة من الله تعالى عبرة للمؤمنين، يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان، وأنه ضامن نصرهم، والفتح لهم، ويزيدهم بصيرة ويقيناً وثقةً بفضل الله[2].

يقول السعدي: "﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا**﴾ وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة، ﴿**فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ**﴾ أي غنيمة خيبر فلا تحسبوها وحدها، بل ثَمَّ شيء كثير من الغنائم سيتبعها، واحمدوا الله إذ كفَّ أيدي الناس القادرين على قتالكم، الحريصين عليه، فهي نعمة، وتخفيف عنكم، ولتكون هذه الغنيمة آية للمؤمنين يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعده الحق، وثوابه للمؤمنين، وأن الذي قدَّرها سيقدُّر غيرها، ويهديكم بما يقيِّض لكم من الأسباب صراطاً مستقيماً من العلم والإيمان والعمل، ووعدكم غنيمة أخرى لم

---

(1) انظر، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج230/6.

(2) انظر، محاسن التأويل، القاسمي، ج499/8.

تقدروا عليها وقت هذا الخطاب، قد أحاط الله بها هو قادر عليها، وتحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها فلا بدَّ من وقوع ما وعد به، لكمال اقتدار الله تعالى، ولهذا قال: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾" [1].

ومن معاني هذه الآيات يتبين عظمة الله سبحانه في تأييده للنبي محمد ﷺوصحابته الكرام، الذين أيَّدهم تعالى بنصرٍ من عنده وكفاهم بقدرته، حشود المشركين وحتى كيدهم وما يبطنون من شرور تجاه المؤمنين، وهذا من كرامات الله تعالى وفضله على هذه الصحبة الشريفة، رضي الله عنهم أجمعين.

المطلب الثاني: الفلاح والخيرات في الدنيا

ومن فضل الله تعالى على الصحابة الكرام أن شهد لهم بالفلاح في الدنيا، وتحصيلهم من خيراتها، وهذا كرم من الله تعالى منحهم اياه، وما يلي آيات تبين هذا الفضل من الله لهم.

- يقول تعالى:﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: 157].

والمعنى: فالذين صدَّقوا بالنبيِّ الأميِّ، وأقرُّوا بنبوّته وعزَّروه، ووَقَّروه وعظموه وحَمَوه من الناس، ونصروه وأعانوه على أعداء الله وأعدائه، بجهادهم ونصب الحرب لهم، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وهو القرآن والإسلام أولئك هم المفلحون، والذين يفعلون هذه الأفعال التي وصف بها جلَّ ثناؤه أتباع محمد ﷺ، هم الفائزون المدرِكون ما طلبُوا ورجَوْا بفعلهم ذلك[2].

وهنا إشارة في قوله تعالى: :﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ**﴾ تعليمٌ لكيفية اتّباعِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وبيان لعلو رتبةِ متّبعيه واغتنامِهم مغانمَ الرحمةِ الواسعةِ في الدارين، إثرَ بيانِ نعوتِه الجليلة والإشارةِ إلى إرشاده عليهِ الصلاةُ والسلامُ إيَّاهُم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحلالِ الطيبات وتحريمِ الخبائث، فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه في أوامره ونواهيه وَعَزَّرُوهُ وعظّموه ووقّروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه؛ ونصروه على أعدائه في الدين، واتبعوا النور الذى أُنزِلَ مَعَهُ مع نبوَّته وهو القرآنُ عبّر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهراً بنفسه ومُظهِراً لغيره، أو مظهِراً للحقائق كاشفاً عنها، لمناسبة الاتّباعِ ويجوزُ أن يكون معه متعلقاً باتّبعوا، أي واتّبعوا القرآنَ المنزَّل مع اتباعه ﷺبالعمل بسنته، وبما أُمِرَ به ونُهيَ عنه، أو اتَّبعوا القرآنَ مصاحبين له في

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص793.

(2) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج170/13.

اتِّباعه، ﴿**أُولَئِكَ**﴾ إشارةٌ إلى المذكورين من حيث اتصافُهم بما فُصِّل من الصفاتِ الفاضلة للإشعار بعليِّتها للحكم وما فيه من معنى البُعد، للإيذان بعلوِّ درجتِهم وسمو طبقتهم فيا الفضل والشَّرفِ، للصحابة الكرام، أولئك المنعوتُون بتلك النعوت الجليلة هُمُ المفلحون الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب لا غيرُهم من الأمم[1].

وبهذا يتحقق بأنَّ صحبة رسول الله ﷺ، ضربهم الله مثلاً رائعاً في اتِّباع النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وفي تعظيمه ونصره والذود عنه، صلوات ربي وسلامه عليه، فكانت لهذه الصحبة الشريفة الفلاح والخيرات في الدنيا والآخرة.

وهذا مثال آخر يبين فضل الله تعالى على الصحابة رضوان الله عليهم بأن لهم الفلاح والخيرات في الدنيا:

● قال تعالى: :﴿ **لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التوبة: 88].

يخبر الحقُّ سبحانه وتعالى أنَّ الرسول ﷺوالذين آمنوا مَعَهُ بالله وبما جاء من عنده تعالى، جاهدوا بأموالهم وَأَنفُسِهِمْ، فهم قد نهَدَوا للجهاد وهم خير الناس وأخلصُهم نيةً ومعتقَداً، وأقاموا أمرَ الجهادِ في كل أموره، وَأُوْلئِكَ المنعوتون بالنعوت الجليلة، لَهُمْ الخَيْرَاتِ منافعُ الدارين، النصرُ والغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ والكرامة في العُقبى، وأولئك هُمُ المفلحون الفائزون بالمطلوب، وتكريرُ اسمِ الإشارة تنويهٌ لشأنهم وربْءٌ لمكانهم، فهم قد امتثلوا لأمر الله وانقادوا لحكمه سمعاً وطاعةً، وقد جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سبيله وابتغاءً لمرضاته، وتثبيتاً في دينه وَأُولئِكَ المؤمنون المجاهدون لَهُمُ الْخَيْراتُ والمثوبات العظمى والدرجات العليا عند الله، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون عنده سبحانه بما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر[2].

لكن الرسول والذين آمنوا به، وكانوا معه في كل أمور الدين لا يفارقونه، قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فقاموا بالواجب خير قيام، كما يقتضيه الإيمان والإسلام، أولئك لهم الخيرات، عطف جزاءهم على جهادهم، ولم يذكره مفصولاً مستأنفاً كقوله السابق في المؤمنين والمؤمنات: ﴿ **أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾ [التوبة: 71]، وقوله في سورة البقرة ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ [الآيات: 2-5] الآية. لأنه تتمة لبيان حالهم المخالفة لحال المنافقين بدءاً وانتهاءً عملاً وجزاءً، أي: وأولئك المجاهدون بعيدو المنال في معارج الكمال، لهم دون المنافقين الخيرات التي هي

(1) انظر، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج280/3.

(2) انظر، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج91/4، الفواتح الإلهية، الشيخ علوان، ج314/1.

ثمرات الإيمان والجهاد، من شرف النصر ومحو كلمة الكفر، واجتثاث شجرة الشرك، وإعلاء كلمة الله، وإقامة الحق والعدل بدين الله، والتمتع بالغنائم والسيادة في الأرض، وأولئك هم المفلحون أي الفائزون بسيادة الدنيا مع سعادة الآخرة [1].

لقد أكرم الله تعالى نبيه ﷺبأصحاب وفقَّهم لخدمة دينه والدفاع عن دعوته، فكانت الخيرات والبركات نصيبهم في الدنيا، والفوز بالجنان جزاؤهم في الأُخرى.

المطلب الثالث: النصر على الأعداء

لقد مكَّن الله تعالى لدينه ورسوله محمد ﷺ النصر على الأعداء، وأيَّد الحقُّ سبحانه رسوله الكريم بصحبةٍ طاهرةٍ، تعشق الجهاد في سبيل الله، تذود عنه وعن الإسلام والمسلمين، فاستحقُّوا بذلك فضل الله عليهم بالنصر، وما يلي آياتٌ تبينُ فضل الله تعالى على الصحابة بالنصر على الأعداء.

• قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [آل عمران: 12-126].

يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ**﴾ ذكر الله للمؤمنين منَّته عليهم بالنصر يوم بدرٍ وهم أذلَّة؛ أي قليلي العدد، فإن المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، والمراد بذلتهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال، وعدم القدرة على مقاومة العدو، وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد، وكان أكثرهم رجَّالة ولم يكن معهم إلّا فرسٌ واحد، وكان عدوُّهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء ألف مقاتل، ومعهم مئة فرس وكان معهم السلاح والشوكة، فنصر الله المؤمنين مع قلَّتهم على عدوهم مع كثرتهم، فَأمرهم اللَّهَ بعد هذا بالثبات مع رسول الله ﷺ، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ بتقواكم ما أنعم به تعالى عليكم من النصر، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ**﴾ هذا وعدٌ من الله كان يوم بدر أمدَّهم الله بألف من الملائكة كما قال سبحانه: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾[الأنفال:9]. ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف

(1) انظر، تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج503/10.

كما ذكر ها هنا ﴿ **بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ**﴾، فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما وعد[1]، وفي صحيح البخاري من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ»[2]، وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، يَعْنِي جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ »[3].

﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ**﴾ أي إمداده لكم بالملائكة؛ إلا بشرى تستبشرون بها وتفرحون ولتطمئن قلوبكم به، وما النصر إلا من عند الله فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، ولهذا قال ﴿**مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ**﴾ فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة في غلبة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين غلبة غير مستقرة، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ [محمد:4] [4].

إنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى ضرب المثل بالصبر والتقوى في بدر مع القلة فكان النصر، والله هو الذي يعطي المدد، ولكن الأمة التي تستفيد من المدد يجب أن تكون كالصحابة الكرام، فإنهم كانوا في أعلى درجات الصبر والتقوى، فهما العُدّة في الحرب، فسبحان من جعل هذا القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، ليقتبس المسلمون اليوم منه سبل النصر، ومن السلف الصالح والصحابة الكرام رضي الله عنهم، حتى يتغير حال الأمة من هزيمة الى نصر، والله المستعان.

---

(1) انظر، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج292/1.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، بَابُ شُهُودِ المَلاَئِكَةِ بَدْرًا، ج81/5: رقم الحديث 3995.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، ج1802/4: رقم الحديث2306.

(4) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص146.

ومن الأمثلة التي تبين فضل الله على الصحابة الكرام بالنصر في القرآن الكريم:

• قوله تعالى:﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال:9].

يُذَكِّرُ تعالى عباده بفضل الله عليهم ورحمته سيما وقت:﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**﴾ حين اقتحم العدو وأنتم غزى قلائل وهم متكثِّرون ذووا عددٍ وعُدَّة، فَاسْتَجابَ لَكُمْ ربكم مغيثاً لكم قائلاً على لسان نبيكم أَنِّي بحولي وقوتي مُمِدُّكُمْ ومعينكم ومغيثكم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ على عدوكم يضربونهم من ورائهم وأنتم من أمامهم، وَما جَعَلَهُ اللَّهُ امدادكم هذا بملائكة السماء إِلَّا بُشْرى لكم بفضلكم وكرامتكم عليهم، وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ في عموم ما وعدكم الله به، وَاعلموا أيها المؤمنون المتحققون بمقام التوحيد مَا النَّصْرُ والغلبة والظفر إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ القادر المقتدر على كل ما أراد واختار، وإِنَّ اللَّهَ المتعزز برداء العظمة والجلال عَزِيزٌ غالب على عموم مقدوراته ومراداته، حَكِيمٌ متقن في جميع أحكامه ومأموراته، يفعل ما يشاء إرادةً واختياراً، ويحكم ما يريد، فاذكروا أيها المؤمنون فضل الله عليكم وامتنانه إِذْ يغلب عليكم بلطفه سبحانه النُّعاسَ إزالة لرعبكم حين كنتم في سهرٍ من خوف العدو، لتكون أَمَنَةً نازلةً مِنْهُ لتستريحوا وتطمئن قلوبكم وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ حينئذٍ مِنَ السَّماءِ ماءً عليكم من محض لطفه لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ، وَبالجملة يُذْهِبَ عَنْكُمْ بإنزال المطر رِجْزَ الشَّيْطانِ ووسوسته وإيقاعه وتخويفه من العطش وغيره، وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ بإنزاله أنه سبحانه ينصركم حين اضطراركم، فقد أنزل الله المطر ليزداد وثوقكم به وبنصره سبحانه ووعده، وَأيضاً يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ على جادة التوحيد والتوكل على الله في جميع الأمور[1].

وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أنَّ يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدواً قوياً وجيشاً عديداً، فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمنه لهم بأنه بجيش من الملائكة، لأن النفوس أميل إلى المحسوسات، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم، والتذكير بنعمة النصر في حين القلة، وتقييد بشرى بأنها لأجلهم زيادة في المنة، أي جعل الله ذلك بشرى لأجلكم[2].

• وقال تعالى: ﴿ **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 14- 15].

---

(1) انظر، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، الشيخ علوان، ج1/283.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج276/9.

قوله تعالى:﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ هذا تهييج وإغراء على قتال المشركين الناكثين لأيمانهم، ومحاربتهم بالقتل، حتى يُخزيَهم الله إذا نصركم عليهم، وهم الأعداء الذين يطلب خزيهم ويحرص عليه، وينصركم عليهم، وهذا وعدٌ من الله وبشارة قد أنجزها، ويشفِ صدور قوم مؤمنين ويُذهب غيظ قلوبهم، فإنَّ في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغمِّ والهمِّ، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله ساعين في إطفاء نور الله، وزوالاً للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدلُّ على محبة الله لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم حتى إنه جعل –من جملة المقاصد الشرعية– شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم، ثم قال تعالى ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ من هؤلاء المحاربين بأن يوفِّقهم للدخول في الإسلام ويزيِّنه في قلوبهم، ويكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، والله عليم حكيم يضع الأشياء مواضعها ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه؛ ومن لا يصلح فيبقيه في غيِّه وطغيانه[1].

يقول ابن عاشور:" وجزاء أن الله ضمن للمسلمين من تلك المقاتلة خمس فوائد تنحل إلى اثنتي عشرة، إذ تشتمل كل فائدة منها على كرامة للمؤمنين، وإهانة لهؤلاء المشركين، وروعي في كل فائدة منها الغرض الأهم فصرَّح به وجعل ما عداه حاصلاً بطريق الكناية، فالفائدة الأولى تعذيب المشركين بأيدي المسلمين وهذه إهانة للمشركين وكرامة للمسلمين، والثانية: خزي المشركين وهو يستلزم عزة المسلمين، والثالثة: نصر المسلمين، وهذه كرامة صريحة لهم وتستلزم هزيمة المشركين وهي إهانة لهم، والرابعة: شفاء صدور فريق من المؤمنين، وهذه صريحة في شفاء صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة، وتستلزم شفاء صدور المؤمنين كلهم، وتستلزم حرج صدور أعدائهم، فهذه ثلاث فوائد في فائدة، والخامسة: إذهاب غيظ قلوب فريق من المؤمنين أو المؤمنين كلهم، وهذه تستلزم ذهاب غيظ بقية المؤمنين الذي تحمَّلوه من إغاظة أحلامهم وتستلزم غيظ قلوب أعدائهم، فهذه ثلاث فوائد في فائدة، والتعذيب تعذيب القتل والجراحة، وأسند التعذيب إلى الله وجعلت أيدي المسلمين آلة له تشريفاً للمسلمين"[2].

• وقال تعالى:﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى**

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص331.

(2) التحرير والتنوير، ج135/10.

﴿رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 25-26].

يَذكرُ تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم، في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم، مع رسول الله ﷺوأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددهم، ونبَّههُم على أنَّ النصر من عنده، سواء قلَّ الجمع أو كَثُر، فإن يوم حنينٍ أعجبتهم كثرتُهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاٍ فَولُّوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده، وبإمداده وإن قلَّ الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين[1].

قوله تعالى:﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ تقابلتم فيها مع أعدائكم وأنتم قلَّة قليلة، وهم كثرة كثيرة، ومع هذا نصركم الله، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ حيث كنتم متوكلين على الله، معتمدين عليه ممتثلين أمر الله ورسوله، معتقدين أن النصر من عند الله، وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، أمَّا إذا أعجبتكم كثرتكم، وظننتم أنكم لا تغلبون عن قلَّة وضعف كما حصل منكم يوم حنين، فقد تركم ربكم لأنفسكم فلم تغنِ كثرتكم عنكم شيئاً من قضاء الله، وضاقت عليكم الأرض بما اتسعت من الخوف، ثم وليتم مدبرين وكانت الدائرة عليكم في أول المعركة حتى فرَّ كثير من الناس، ولم يلو أحد على أحد، وثبت رسول الله ﷺومعه قلّة من الصحابة الكرام، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن العَبَّاسٌ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج125/4.

الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا [1].

وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فاستجاب الله دعاء النبي ﷺوأنزل ما به تسكن قلوبهم وتطمئن نفوسهم، وتقوى عزائمهم حتى اجترأوا على قتال المشركين، وأنزل الله جنوداً لم يروها من الملائكة، يُقوُّون روح المؤمنين المعنوية بما يلقون في قلوبهم من التثبيت والاطمئنان، ويضعفون الكافرين بما يلقون في قلوبهم من الخوف والجبن من حيث لا يرونهم، وهكذا عمل الدعاية في الحرب وقد ثبت أن لها النصر المؤكد، والثابت أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر، وعذَّب الله الذين كفروا بسيوفكم بعد أن كانوا أعزة لهم الغلب رماة ماهرين، وذلك كله جزاءً الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ممن انهزم وفرَّ فيهديَه إلى الإسلام، ويثبت قلبه عند الشدائد، وفي هذه الآيات تذكير للمؤمنين بنعم الله عليهم، وأن النصر من عنده، وكثيراً ما تتخلف الأسباب الظاهرة ليتذكروا أن عناية الله– تعالى– برسوله والمؤمنين وتأييده بالقوى المعنوية أعظم شأناً وأدنى إلى النصر من القوى المادية[2].

وهذا من عظيم رحمة الله لهذه الصفوة المختارة، صحابة رسول الله ﷺ، فقد شملهم الله برحمته وأيدهم بنصره ، وجعلهم طائفة منصورة باعتمادهم عليه سبحانه، ووثوقهم بأنَّ النصر والعون من الله حتى وان كثر عددهم وعدتهم، وحمايتهم لرسول الله وطاعته أكثر ما يجلب لهم النصر والتمكين، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

المطلب الرابع: اصطفاء الشهداء منهم

ومن فضل الله على الصحابة الكرام، أن اصطفى الشهداء منهم، فهم الذين امتثلوا أمر مولاهم، وأطاعوه في جميع ما أولاهم، وباعوا أنفسهم رخيصة أمام نَيْل الدرجات، والحصول على أعظم المثوبات، وعملوا على الوفاء بكريم عهده، وبذلوا في مرضاته ما ملكوا، تصديقًا لصادق وعده، إذ وعدهم أن الشُّهداء مخصوصون بدرجات عالية، ومقامات سامية؛ أجسامهم لا تبلى، وأرواحهم عند المليك الأعلى؛ في النعيم الدَّائم يتقلبون، وبرضى مولاهم يستبشرون؛ لا يخافون فتنة القبور، ولا يحزنهم الفزع الأكبر يوم ينفخ في الصور، فكان من عظيم فضل الله على الصحابة الكرام أن اصطفى الشهداء منهم، **فهذه أمثلة لآيات تبين فضل الله تعالى على الصحابة باصطفاء الشهداء منهم.**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج1398/3: رقم الحديث 1775.
(2) انظر، تفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ج871/1–872.

• قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:154].

• وقال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 140].

يخبر تعالى عباده مسلياً ومصبِّراً إيَّاهم، إنْ يَمْسَسْكُمْ ويصبكم أيها المجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة توحيده ضيقٌ ومشقةٌ من أعداء الله يوم أُحُدٍ لا تبالوا به ولا تضعفوا بسببه، فعليكم تذكُّر يوم بدر فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ أعدائكم قَرْحٌ ونالوا منكم يومَ أحُدٍ فقد نِلتم منهم قبله يومَ بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يُثَبِّطْهم عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أحقُّ بأن لا تضعُفوا فإنكم ترجون من الله مالا يرجون، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ إشارةٌ إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة، لا إلى الأيامِ المعهودةِ خاصةً من يوم بدرٍ ويومِ أحدٍ بل هي داخلةٌ فيها دخولاً أوَّلياً، والمرادُ بها أوقاتُ الظفَرِ والغَلَبةِ، نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناس ونُصَرِّفها بينهم نُديلُ لهؤلاء تارةً ولهؤلاء أخرى؛ كقول من قال ... فيوماً علينا ... ويوماً لنا، ويوماً نُساءُ ويوماً نُسَرّ ...، وصيغةُ المضارعِ الدالةُ على التجدد والاستمرارِ للإيذان بأن تلك المداولةَ سنةٌ مسلوكةٌ فيما بين الأممِ قاطبةً، سابقتِها ولاحقتِها وفيه ضربٌ من التسلية منه سبحانه لعباده المؤمنين[1].

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وهذا أيضاً من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضاً بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله[2].

قال أبو الطيب القنوجي[3]: " وليعلم الله علم ظهور الذين آمنوا، أي إنما جعل الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة وشدة، وهو

---

(1) انظر، الكشاف، الزمخشري، ج418/1، تفسير أبي السعود، أبو السعود، ج90/2.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص149.

(3) أبو الطيب القنوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب، من رجال الإصلاح الإسلامي. ولد في بلدة قنوج بالهند 1248هـ، وبها نشأ وتعلم، له نيف ومئة كتاب بالعربية والفارسية والهندية ما بين مطول ومختصر، منها "فتح البيان في مقاصد القرآن"، وتوفي سنة 1307هـ. انظر، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق الدمشقي، ص746، طبقات النسابين، بكر أبو زيد،. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، ج539/2.

من باب التمثيل، أي فعلنا فعل من يريد أن يعلم، لأنه سبحانه لم يزل عالماً، أو ليعلم الله الذين آمنوا بصبرهم علماً يقع عليه الجزاء كما علمه علماً أزلياً، وقيل ليعرِّفهم بأعيانهم، وقيل ليعلم أولياء الله فأضاف علمهم إلى نفسه تفخيماً ، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني ويكرمكم بالشهادة، وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار في المعركة سمي بذلك لكونه مشهوداً له بالجنة أو جمع شاهد لكونه كالمشاهد للجنة"[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 169-171].

لمَّا بين الله تعالى أنَّ ما جرى يوم أحدٍ كان امتحاناً يميز المنافق من الصادق، بيَّن أنَّ من لم ينهزم فقتل له الكرامة والحياة عنده سبحانه، والآية نزلت في شهداء أحد، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ "، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**... ﴾ [آل عمران: 169][2].

وقد أثبت القرآن للمجاهدين موتاً ظاهراً بقوله تعالى ﴿**قُتِلُوا**﴾، ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله تعالى ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ فإنهم وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة، بل هي حياة بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله تعالى ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ دليلاً على أن حياتهم حياة خاصة بهم، ليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم، أعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق، ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس، وكذلك الرزق يجب أن يكون ملائماً لحياة الأرواح وهو رزق النعيم في الجنة، فإن قيل عند ربهم أحياء كما هو الظاهر، فالأمر ظاهر، وإن قيل يرزقون فكذلك،

---

(1) فتح البيان، ج341/2.

(2) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، ج15/3: رقم الحديث2520. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ج279/7: رقم الحديث 2275.

لأن هذه الحياة لما كان الرزق الناشئ عنها كائناً عند الله، كانت حياة غير مادية ولا دنيوية والاستبشار حصول البشارة، وقد جمع الله لهم بين المسرَّة بأنفسهم والمسرَّة بمن بقي من إخوانهم، لأن في بقائهم نكاية لأعدائهم، وهم مع حصول فضل الشهادة لهم على أيدي الأعداء يتمنون هلاك أعدائهم، لأنَّ في هلاكهم تحقيق أمنية أخرى لهم وهي أمنية نصر الدين، فالمراد بالذين لم يلحقوا بهم رفقاؤهم الذين كانوا يجاهدون معهم، ومعنى لم يلحقوا بهم لم يستشهدوا فيصيروا إلى الحياة الآخرة، وفي هذا دلالة على أن أرواح هؤلاء الشهداء مُنِحت الكشف على ما يسرُّها من أحوال الذين يهمهم شأنهم في الدنيا، وفي الآية بشارة لأصحاب أُحُد بأنهم لا تلحقهم نكبة بعد ذلك اليوم[1].

يقول السعدي "ولفظ: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا فرحين بما آتاهم الله من فضله، مغتبطين بذلك، قد قرَّت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله، فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أيبشر بعضهم بعضاً، بوصول إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور"[2].

واصطفاء الشهداء فضل عظيم منَّ الله به على الصحابة الكرام رضي الله عنهم، لِما علم من صدقهم واخلاصهم في الدفاع عن الدين ومحبة الجهاد في سبيل الله، فرضي الله عنهم أجمعين.

المطلب الخامس: الرزق الكريم من الغنائم والفيء

لقد أكرم سبحانه وتعالى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، رزقاً كريماً من الغنائم لصبرهم وجهادهم وثباتهم، وحملهم راية الدين ودفاعهم عنها، فكان ذلك الفضل من الله لهم، وما يلي آيات تبين فضل الله عليهم بذلك:

- **قال تعالى: ﴿ يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [الأنفال:1].

---

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج167/4.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص165.

معاني الآيات

الأنفال: الغنيمةُ سُمِّيت به لأنها عطيةٌ من الله تعالى زائدة على ما هو أصلُ الأجرِ في الجهاد من الثواب الأخروي، والأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة بدرٍ أوَّل غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله ﷺعنها، فأنزل الله ﴿ **يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ**﴾ كيف تُقسَّم وعلى من تُقسَّم؟ فقال لهم رسول الله ﷺ، الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله، بل عليكم إذا حكم الله ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلِّموا الأمر لهما، وذلك داخل في قوله ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادِّ والتحابِّ والتواصل، فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل – بسبب التقاطع –من التخاصم والتشاجر والتنازع، ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر، والأمر الجامع لذلك كلّه قوله: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ فإنَّ الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أنَّ من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن[1].

وقوله تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ هو تعقيب على الحكم الذي تلقَّاه المسلمون من الله في شأن غنائم بدر، وفى دعوتهم إلى تقوى الله تذكير لهم بالله الذي استجابوا لدينه ودخلوا فيه، وقاتلوا في سبيله، فإذا ذكروا هذا فاءوا إلى السَّلامة والعافية، وأقاموا وجوههم على الوجه الذي استقبلوا به الإسلام من أول يومٍ موطنين الأنفس على احتمال الضرِّ والصبر على المكاره، ولم يقع في نفوسهم شيء من هذه المشاعر التي وقعت لهم بين يدى تلك الغنائم قبل أن يتلقوا حكم الله فيها، ومن هنا جاء أمر الله إليهم بعد ذلك بقوله: ﴿**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ أي حيث أخليتم أنفسكم من هذا المتاع الذي كان سبباً في التنازع والاختلاف بينكم، فعودوا إلى ما كنتم عليه إخواناً مجاهدين في سبيل الله لا تبتغون بذلك إلا رضا الله ورضوانه، ثم جاء قوله تعالى بعد هذا: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ أمراً بالطاعة المطلقة والتسليم الخالص لله ولرسوله، فذلك هو شأن المؤمنين إذ لا إيمان بغير طاعة وتسليم[2].

---

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص315.

(2) انظر، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج561/5.

والتسليم والرضا لله ورسوله ﷺ، حال الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولأنَّ هذا نهجهم استحقوا الزيادة على أجر ثوابهم في الجهاد وهو الغنائم.

• **وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأنفال:69].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال: 9]، فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ – وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الأنفال: 67]، إِلَى قَوْلِهِ ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾ [الأنفال: 69]، فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ[1].

يقول ابن عاشور:" لولا كتابٌ من الله سبق امتناناً عليهم بأنَّه صرف عنهم بأس العدو، فرَّعَ على الامتنان الإذن لهم بأن ينتفعوا بمال الفداء في مصالحهم، ويتوسعوا به في نفقاتهم، دون نكد ولا غصة، فإنهم استغنوا به مع الأمن من ضُرِّ العدو بفضل الله، فتلك نعمة لم يشبها أذى، وعبَّر عن الانتفاع الهنيء بالأكل؛ لأنَّ الأكل أقوى كيفيات الانتفاع بالشيء، فإن الآكل ينعم بلذاذة المأكول وبدفع ألم الجوع عن نفسه، والأمر في ﴿**فَكُلُوا**﴾ مستعملٌ في المنَّة ولا يحمل على الإباحة، لأن إباحة المغانم مقرَّرة من قبله يوم بدر، وليكون قوله: حلالاً حالاً مؤسِّسَةً لا مؤكدةً لمعنى الإباحة، وغنمتم بمعنى فاديتم لأن الفداء عِوَضٌ عن الأسرى؛ والأسرى من المغانم، والطيب النفيس في نوعه، أي حلالاً من خير الحلال، وذيَّل ذلك بالأمر بالتقوى؛ لأن التقوى شكر الله على ما أنعم من دفع العذاب عنهم، وجملة: إن الله غفور رحيم تعليل للأمر بالتقوى، وتنبيه على أن التقوى شكر على النعمة"[2].

●وقوله تعالى: ﴿ **وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً (20)**﴾ [الفتح:19-20].

يخبر تعالى في هذه الآية، أنَّ الله قد أنعم على المؤمنين بَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها يعني من أموال أهل خيبر، وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال، فقسَّمها رسول الله ﷺبينهم، وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً يعني منيعاً كامل العزة غنياً عن إعانتكم، حَكِيماً حيث حكم لكم بالغنائم ولأعدائكم بالهلاك على أيديكم، وأعقب سبحانه بذكر الغنائم بقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها**﴾ يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم إلى يوم القيامة، ﴿**فَعَجَّلَ**﴾ مغانم خيبر، وفيه إشارة إلى كثرة الفتوحات والغنائم التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل، وإنَّما عجَّل لهم هذه كعجالة الراكب، أعجلها الله لكم وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم، كالقليل من الكثير ﴿**وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ**﴾، وذلك أن النبي ﷺلما قصد خيبر وحاصر أهلها، همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يُغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكفَّ

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، ج1383/3: رقم الحديث 1763.

(2) التحرير والتنوير، ج79/10.

الله عزَّ وجلَّ أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، لتمام المنَّة عليكم فعجَّل لكم الغنائم لتنتفعوا بها، لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول ﷺفي إخباره عن الغيوب، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم ويعلموا أنَّ الله هو المتولِّي حياطتهم، وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ويهديكم إلى دين الإسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقيناً بصلح الحديبية وفتح خيبر[1].

والمغانم الكثيرة المذكورة هي مغانم أرض خيبر والأنعام والمتاع والحوائط، فوصفت ب "كثيرة" لتعدد أنواعها وهي أوَّل المغانم التي كانت فيها الحوائط، وفائدة وصف المغانم بجملة يأخذونها، تحقيق حصول فائدة هذا الوعد لجميع أهل البيعة قبل أن يقع بالفعل، ففيه زيادة تحقيق لكون الفتح قريباً، وبشارة لهم بأنهم لا يهلك منهم أحد قبل رؤية هذا الفتح، وجملة وكان الله عزيزاً حكيماً معترضة، وهي مفيدة تذييل لجملة وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرةً يأخذونها، لأن تيسير الفتح لهم وما حصل لهم فيه من المغانم الكثيرة من أثر عزة الله التي لا يتعاصى عليها شيء صعب، ومن أثر حكمته في ترتيب المسببات على أسبابها في حالة ليظن الرائي أنها لا تُيَسَّرُ فيها أمثالُها[2].

●وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (سورة الحشر:6-7).

يقول تعالى مبيناً الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء كل مال أخذ من الكفار بغير قتال كأموال بني النضير، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات، فقال: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ**﴾ أي: من بني النضير﴿**فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾ يعني الإبل، ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ**

(1) انظر، لباب التأويل في معاني لتنزيل، الخازن، ج161/4.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج176/26.

رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ**﴾ سبحانه؛ أي ولكن جرت سنة الله تعالى بأن ﴿ **يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**﴾ من أعدائه، ويقذف الرعب في قلوبهم، فيستسلمون لهم بلا قتال، ولا مصاولة، كما سلط محمدًا – ﷺ– على هؤلاء، فنزلوا على حكمه دون اقتحام مضايق الخطوب، ولا مقاومة شدائد الحروب، فلا حق للمقاتلة في الفيء، بل يكون أمره مفوضًا إلى الرسول ﷺ، يصرفه كيف شاء ولا يقسمه تقسيم الغنائم، ﴿ **وَاللَّهُ**﴾ سبحانه وتعالى ﴿ **عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**﴾ شاءه ﴿ **قَدِيرٌ**﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء، تارة على ما يعهد من السنن، وأخرى على غير ما يعهد منها، كما جرى لبني النضير من استسلامهم بلا قتال، على مناعة حصونهم وكثرة عددهم وعُددهم من سلاح وكراع، وما كان المسلمون يظنون أن هذا سيكون[1].

ثم ذكر تعالى الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها لهم، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله طوعاً ومحبةً واختياراً، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوأوا دار الهجرة والإيمان، حتى صارت موئلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون، إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزيد شيئاً فشيئاً، وينمو قليلاً قليلاً، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان، الذين من جملة أوصافهم الجميلة أنهم ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾ وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبابه، وأحبوا من نصر دينه."[2]

وهذا فضلٌ عظيمٌ من فضائل الله سبحانه على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، بأن أحلَّ لهم الغنائم زيادةً على أجر جهادهم وما أعدَّ لهم من ثواب جزاء ذلك.

---

(1) انظر، حدائق الروح والريحان، الهروي، ج109/29.

(2) انظر، تيسير الكريم المنان، السعدي، ص850.

المطلب السادس: رضى الله عنهم وإنزال السكينة على قلوبهم

لقد منح سبحانه وتعالى الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، سعادة الدنيا والآخرة، وذلك برضاه سبحانه عنهم، وما ذاك إلا لمزيد فضله سبحانه وتعالى عليهم، فهم صحبة خير البشر محمد ﷺ، وما يلي أمثلة من آيات الكتاب العزيز تبين فضل الله على الصحابة بالرضا وإنزال السكينة على قلوبهم.

- قال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 18].

يخبر تعالى بفضله ورحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺتلك المبايعة التي بيَّضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة "بيعة الرضوان" لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال أنَّ رسول الله ﷺلما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجئ لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت معظِّماً له، فبعث رسول الله ﷺعثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبرٌ غير صادق، أنَّ عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺمن معه من المؤمنين، وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفرِّوا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجلِّ القربات، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان فأنزل السكينة عليهم، شكراً لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، وأثابهم فتحاً قريبا وهو فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاختصوا بخيبر وغنائمها، جزاءً لهم، وشكراً على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته[1].

والمؤمنون الذين رضي الله عنهم، وشملهم بهذا الرضوان العظيم، هم الذين كانوا مع النبي ﷺفي الحديبية، والذين بايعوه على قتال المشركين، فأثابهم فتحاً قريباً، أي أنَّ الله سبحانه وتعالى مع هذا الرضوان الذي شمل به المؤمنين من أهل الحديبية– قد فتح عليهم خيبر وملأ أيديهم من مغانمها، وبهذا رجعوا ومعهم حظ الدنيا والآخرة جميعاً، ووصف الفتح بأنَّه قريب، وذلك لقرب زمانه، إذ كان على أيام من صلح الحديبية، ثم لقرب تناوله، إذ لم يلقَ المسلمون من أهل خيبر بلاءً كثيراً، بل سرعان ما استسلم يهود خيبر ليد النبي ﷺ، ونزلوا على حكمه[2].

---

(1) انظر، تيسير الكريم المنان، السعدي، ص0793.

(2) انظر، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج417/13.

• ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الفتح: 26].

قوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ أي الأنفة والغضب وذلك حين صدُّوا رسول الله ﷺوأصحابه عن البيت، ومنعوا الهدي محلَّه ولم يقرُّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا أن يكون محمد رسول ﷺ، وذلك أنه حين جعل سُهيل بن عمرو في قلبه الحمية، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كُتِبَ بين يدي رسول الله ﷺ والمشركين: بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب فيه: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله ﷺ عامة ذلك، وذكر هذا الخبر في صحيح مسلم " عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللهُمَّ، فَقَالَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ»، قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ»، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَكْتُبُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»[1].

وما كان فعل سهيل لذلك إلا حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، لأنَّ الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله، فأنزل الله سكينته وهي الطمأنينة والوقار على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين، و ثبتهم على الرضا والتسليم، ولم يدخل قلوبهم ما أدخل قلوب أولئك الكفار من الحمية، وألزمهم كلمة التقوى، يعني أن المشركين لم يقروا بهذه الكلمة، فخصَّ الله بها المؤمنين، وكلمة التقوى هي التي يُتقى بها من الشرك، وكانوا أحقَّ بها من كفار مكة، لأنَّ الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه، وكان الله بكل شيء عليماً[2].

وألزم الله تعالى رسوله والمؤمنين بكَلِمَةَ التَّقْوَى واختار لهم كلمة يُتَّقى بها من الشرك، كلمة لا إله إلا الله، كذا قال الجمهور حتى قالوها، وهذا إلزام الكرم واللطف، لا إلزام الإكراه

(1) صحيح مسلم، مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب صلح الحديبية، ج1411/3: رقم الحديث 1784.
(2) انظر، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج189/16.

والعنف، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها، إذ بها يتقى من الشرك ومن النار، وقد وصف الله تعالى هذه الأمة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم، باعتبار هذه الكلمة[1].

قال الصابوني:" ﴿**فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي جعل الطمأنينة والوقار في قلب الرسول والمؤمنين، ولم تلحقهم العصبية الجاهلية كما لحقت المشركين، ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ أي اختار لهم كلمة التقوى إلزام تكريم وتشريف وهي كلمة التوحيد، والظاهر: أن المراد بكلمة التقوى هي إخلاصهم وطاعتهم لله ورسوله، وعدم شقّ الطاعة عندما كتبت بنود الصلح، وكانت مجحفةً بحقوق المسلمين في الظاهر، فثبَّت الله المؤمنين على طاعة رسول الله ﷺ وكان في هذا الصلح كلَّ الخير للمسلمين ﴿**وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ أي وكانوا أحقَّ بهذه الفضيلة من كفار مكة، لأن الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه ﷺ ، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ أي عالماً بمن هو أهل للفضل فيخصَّه بمزيدٍ من الخير والتكريم"[2].

● وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ(21)**﴾ [التوبة:20-21].

يبشِّرُ سبحانه الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله برحمةٍ ورضوانٍ منه لهم، بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه، وأدائهم ما كلَّفهم، وهذا من عناية الله تعالى بهم، بإدخال المسرَّة عليهم، وتحقيق فوزهم، وتعريفهم برضوانه عليهم، ورحمته بهم، وبما أعدَّ لهم من النعيم الدائم، والتبشير الإخبار بخير يحصل للمخبر لم يكن عالما به، فإسناد التبشير إلى اسم الجلالة بصيغة المضارع، المفيد للتجدد، مؤذن بتعاقب الخيرات عليهم، وتجدد إدخال السرور بذلك لهم، لأن تجدد التبشير يؤذن بأن المبشَّر به شيء لم يكن معلوما للمبشَّر وإلا لكان الإخبار به تحصيلا للحاصل، وكون المسند إليه لفظ الرب، دون غيره مما يدل على الخالق سبحانه، إيماء إلى الرحمة بهم والعناية، لأن معنى الربوبية يرجع إلى تدبير المربوب والرفق به واللطف به، ولتحصل به الإضافة إلى ضميرهم إضافة تشريف، والرضوان الرضا الكامل الشديد، لأن هذه الصيغة تشعر بالمبالغة في الرضا[3].

---

(1) انظر، حدائق الروح والريحان، محمد الأمين الهروي، ج301/27.

(2) صفوة التفاسير، ج101/3.

(3) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج149/10.

يقول أبو زهرة: "﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ بيان للفوز الذي حكم به سبحانه وهو أعدل الحاكمين، والبشرى تتضمن الرحمة والرضوان من الله تعالى، وقد نُكِّرا وهما مضافان إلى رب هذا الوجود للدلالة على الفخامة والعظمة، فهي لَا يدرك كنهها ولا تُحدّ حدودها، وهي من الله تعالى واسع الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، والرضوان من الله وهو أعظم من كل ثواب مادي، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي أنه أكبر من كل نعيم؛ لأنه الرضا من الله تعالى، وهو نعمة لَا يشعر بها إلا من يحس بعظمة الله وجلاله"[1].

لقد منَّ سبحانه وتعالى على الصحابة الكرام بأكمل نعيم وهو الفوز برضوانه، وبشرهم بذلك في آيات من كتابه الكريم، وهذا من أعظم الفضائل التي خصَّها الله لصحبة نبيه محمدﷺ.

(1) زهرة التفاسير، ج3259/6.

المبحث الثاني

فضل الله على الصحابة والصحابيات في الآخرة

المطلب الأول: عدم خزيهم أمام الأشهاد وسعي نورهم بين أيديهم

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى على الصحابة الكرام بفضل جزيل بما لهم من مكانة في حمايتهم للرسول محمد ﷺ وتأييدهم له، وجهادهم في سبيل دعوته، وهي دعوة الحق، وكان من فضل الله عليهم يوم القيامة أن يكرمهم ولا يخزيهم، ويجعل نورهم يسعى بين أيديهم، ومما يدل على ذلك ما يأتي:

قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التحريم:8].

قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ أي بالغةً في النصحِ ووُصفتْ التوبةُ بذلكَ على الإسنادِ المجازِي وهو وَصفْ التائبينَ، وهو أنْ ينصحُوا بالتوبةِ أنفسَهُم فيأتُوا بها على طريقتِهَا، وذلكَ أن يتوبُوا عن القبائحِ لقبحها، نادمينَ عليها، مغتمينَ أشدَّ الاغتمامِ لعدم ارتكابِهَا، عازمينَ على أنَّهم لا يعودونَ في قبيحٍ من القبائحِ، موطِّنينَ أنفسَهُم على ذلكَ بحيثُ لا يَلويهم عنه صارفٌ أصلاً، وقيلَ نصوحَاً من نصاحةِ الثوب أي توبة ترمُّ خللك، ويرادَ توبةً تنصحُ الناسُ أي تدعُوهم إلى مثلِها لظهورِ أثرِها في صاحبِها، واستعمالِه الجدَّ والعزيمةَ في العملِ بمقتضياتِهَا أو توبُوا لنصحِ أنفسِكُم، ﴿**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾، ورودُ صيغةِ الإطماعِ للجَرِي على سَنَنِ الكبرياءِ والإشعارِ بأنَّهُ تَفضُلٌ، والتوبةُ غيرُ موجبةٍ له وأن العبدَ ينبغِي أن يكونَ بين خوفٍ ورجاء وإن بالغ في إقامةِ وظائفِ العبادةِ [1].

والرجاء المستفاد من فعل عسى مستعمل في الوعد الصادر عن المتفضِّل على طريقة الاستعارة، وذلك التائب لا حق له في أن يعفى عنه ما اقترفه، لأن العصيان قد حصل وإنما التوبة عزم على عدم العودة إلى الذنب ولكن ما لصاحبها من الندم والخوف الذي بعث على العزم، دلَّ على زكاء النفس فجعل الله جزاءه أن يمحو عنه ما سلف من الذنوب تفضُّلاً من الله،

(1) انظر، تفسير أبي السعود، أبو السعود، ج268/8.

فذلك معنى الرجاء المستفاد من عسى، وتكفير السيئات غفرانها، ﴿ **يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾، "يوم" ظرف متعلق ب" يدخلكم جنات" وهو تعليق تخلص إلى الثناء على الرسول ﷺ والمؤمنين معه، وهو يوم القيامة وهذا الثناء عليهم بانتفاء خزي الله عنهم، تعريض بأن الذين لم يؤمنوا معه يخزيهم الله يوم القيامة، وذكر النبي ﷺ مع الذين آمنوا لتشريف المؤمنين.

وفي صلة الذين آمنوا معه إيذان بأن سبب انتفاء الخزي عنهم هو إيمانهم، ومعية المؤمنين مع النبي ﷺ صحبتهم النبي ﷺ ، و(مع) يجوز تعلقها بمحذوف حال من الذين آمنوا أي حال كونهم مع الشيء في انتفاء خزي الله عنهم، فيكون عموم الذين آمنوا مخصوصاً بغير الذين يتحقق فيهم خزي الكفر وهم الذين ارتدوا وماتوا على الكفر، وفي هذه الآية دليل على المغفرة لجميع أصحاب النبي ﷺ ، وتعلق (مع) بفعل آمنوا أي الذين آمنوا به وصحبوه، فيكون مراداً به أصحاب النبي ﷺ الذين آمنوا به ولم يرتدوا بعده، فتكون الآية مؤذنة بفضيلة للصحابة رضي الله عنهم، وضمير نورهم عائد إلى النبي ﷺ والذين آمنوا معه، وهو اختصاص النور بهم في ذلك اليوم بحيث يميزه الناس من بين الأنوار يومئذ، وسعي النور امتداده وانتشاره، شبه ذلك باشتداد مشي الماشي وذلك أنه يحف بهم حيثما انتقلوا تنويهاً بشأنهم، وإنما خصَّ بالذكر من الجهات الأمام واليمين، لأنَّ النور إذا كان بين أيديهم تمتعوا بمشاهدته وشعروا بأنه كرامة لهم، ولأن الأيدي هي التي تمسك بها الأمور النفيسة، وبها بايعوا النبي ﷺ على الإيمان والنصر، وهذا النور نور حقيقي يجعله الله للمؤمنين يوم القيامة، وإتمام النور إدامته أو الزيادة منه، والدعاء بطلب المغفرة لهم هو لطلب دوام المغفرة، وذلك كله أدب مع الله وتواضع له، ويظهر بذلك وجه التذييل بقولهم، إنك على كل شيء قدير المشعر بتعليل الدعاء كناية عن رجاء إجابته لهم[1].

وقد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين، ويسألون الله أن يتمم لهم نورهم، فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار

(1) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج371/28.

الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح، والمراد بها التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه، والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله[1].

وإتمام نور الصحابة الكرام رضي الله عنهم جزاء عظيم من الله تعالى لهذه الصفوة المختارة، وبهذا النور يميِّزهم ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة.

المطلب الثاني: الخلود في الجنة

إن من أعظم الثواب والعطاء الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين في الآخرة هو الخلود في الجنة، والتنعم بنعيمها، ومن الآيات التي تبين هذا النعيم المقيم.

●قوله تعالى: ﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: 88، 89].

يخبر تعالى بأنَّ الرسول محمداً ﷺ والذين صدقوا الله ورسوله معه، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها في سبيل الله، أولئك لهم الخيرات، وهي خيرات الآخرة، وذلك نساؤها، وجناتها، ونعيمها، وأولئك هم المخلدون في الجنات، الباقون فيها، الفائزون بها، أعد الله لرسوله محمد ﷺ وللذين آمنوا معه جنات، وهي البساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار، خالدين فيها، لا يموتون فيها، وذلك الفوز العظيم، أي ذلك النجاء العظيم، والحظّ الجزيل[2].

﴿**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ وامتثلوا لأمر الله وانقادوا لحكمه سمعاً وطاعةً قد جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ في سبيله، وابتغاءً لمرضاته وتثبيتاً في دينه، أولئك المؤمنون المجاهدون لهم الخيرات والمثوبات العظمى، والدرجات العليا عند الله وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون عنده سبحانه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وبالجملة قد أَعَدَّ اللَّهُ لخلُّص عباده، لهؤلاء المجاهدين المرابطين قلوبهم مع الله ورسوله، الباذلين مُهجهم في سبيله جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أبداً مستمراً، ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ واللطف العميم لهؤلاء المخلصين المختصين بالعناية الأزلية والسعادة السرمدية[3].

---

(1) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص874.

(2) انظر، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج415/14.

(3) انظر، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، الشيخ علوان، ج315/1.

يقول محمد رشيد رضا:" لكن الرسول والذين آمنوا به، وكانوا معه في كل أمور الدين لا يفارقونه، قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فقاموا بالواجب خير قيام، كما يقتضيه الإيمان والإسلام، أولئك لهم الخيرات عطف جزاءهم على جهادهم، ولم يذكره مفصولاً مستأنفاً، لأنه تتمة لبيان حالهم المخالفة لحال المنافقين بدءاً وانتهاءً عملاً وجزاءً، أي وأولئك المجاهدون بعيدو المنال في معارج الكمال، لهم دون المنافقين الخيرات التي هي ثمرات الإيمان والجهاد، من شرف النصر، ومحو كلمة الكفر، واجتثاث شجرة الشرك، وإعلاء كلمة الله، وإقامة الحق والعدل بدين الله، والتمتع بالغنائم والسيادة في الأرض، وأولئك هم المفلحون أي الفائزون بسيادة الدنيا مع سعادة الآخرة، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك الفوز العظيم"[1].

• وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل: 41،42].

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته، الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان، رجاء ثواب الله وجزائه، رضي الله عنهم وأرضاهم، وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال: ﴿ **لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوَّضهم الله خيراً منها في الدنيا، فإنَّ من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه، وكذلك وقع، فإن الله مكَّن لهم في البلاد، وحكَّمهم على رقاب العباد، فصاروا أمراءً حكاماً، وكل منهم للمتقين إماماً، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا، فقال سبحانه ﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ**﴾ أي مما أعطيناهم في الدنيا لو كان المتخلِّفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادَّخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله [2].

﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ**﴾ أي في شأن الله تعالى ورِضاه وفي حقه ولوجهه، ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ ولعلهم الذين ظلمهم أهلُ مكة من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة، ثم بوّأهم الله تعالى المدينةَ حسبما وعد بقوله سبحانه ﴿**لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾ أي مباءة حسنة، أو لنُنزِّلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغَلبةُ على من ظلمهم من أهل مكةَ، وعلى العرب قاطبةً وأهلِ الشرقِ والغربِ كافة، ﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ**﴾ أي أجرُ أعمالِهم المذكورةِ في الآخرة ﴿**أَكْبَرُ**﴾ مما يعجّل لهم في الدنيا، ﴿**لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ الضمير للكفار أي

(1) تفسير المنار، ج305/10.

(2) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج573/4.

لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خيرَ الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين، أي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد أو لَما تألموا لما أصابهم من المهاجَرة وشدائدِها[1].

والتبوئة في قوله تعالى: "﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: الإسكان، وأطلقت هنا على الجزاء بالحسنى على المهاجرة بطريق المضادة للمهاجرة، لأن المهاجرة الخروج من الديار فيضادها الإسكان، وفي الجمع بين هاجروا ولنبوئنهم محسن الطباق، والمعنى: لنجازينَّهم جزاءً حسناً، فعبر عن الجزاء بالتبوئة لأنه جزاء على ترك المباءة، وحسنة صفة لمصدر محذوف جار على «نبوئنهم» ، أي تبوئة حسنة، وهذا الجزاء يجبر كل ما اشتملت عليه المهاجرة من الأضرار التي لقيها المهاجرون من مفارقة ديارهم وأهليهم وأموالهم، وما لاقوه من الأذى الذي ألجأهم إلى المهاجرة من تعذيب واستهزاء ومذلة وفتنة، فالحسنة تشتمل على تعويضهم دياراً خيراً من ديارهم، ووطناً خيراً من وطنهم، وهو المدينة، وأموالاً خيراً من أموالهم، وهي ما نالوه من المغانم ومن الخراج، وغلبةً لأعدائهم في الفتوح وأهمها فتح مكة، وأمناً في حياتهم بما نالوه من السلطان، قال تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور: 55]، ثم أعقب سبحانه هذا الوعد بالوعد العظيم المقصود وهو قوله: ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ، ومعنى أكبر أنه أهم وأنفع[2].

ووعد الله سبحانه لصحابة رسول الله ﷺ بالجنة، شهادةً منه تعالى لهذه الصحبة الشريفة، بأنها تستحق فضل الله عليها بالجنة، خالدين منعمين فيها فرضي الله عنهم أجمعين، وآية أخرى تبين فضل الله على الصحابة بالجنة وهي:

●قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج:58-59].

يخبر تعالى عمن خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وطلباً لما عنده، وترك الأوطان والأهلين والخلان، وفارق بلاده في الله ورسوله، ونصرةً لدين الله ثم قتلوا في الجهاد، أو ماتوا من غير قتالٍ على فرشهم، فقد حصلوا على الأجر الجزيل، والثناء الجميل، و ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾، وليزيدهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقرُّ به أعينهم، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، و ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ وهو الجنة، فأخبر سبحانه أنه يحصل لهم الراحة والرزق وجنة نعيم، وليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم بمن يهاجر ويجاهد في سبيله، وبمن يستحق ذلك، يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه، وتوكلهم عليه، فأما

(1) انظر، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج116/5.

(2) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج159/14.

من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر، فإنه حي عند ربه يرزق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169][1].

وهذه الآية بشارة كبرى لمن هاجر في سبيل الله، فخرج من داره ووطنه وأولاده وماله، ابتغاء وجه الله، ونصرة لدين الله، فهذا قد وجب أجره على الله، سواء مات على فراشه، أو قتل مجاهداً في سبيل الله، وليرزقنهم الله رزقاً حسناً في البرزخ، ويوم القيامة بدخول الجنة الجامعة للروح والريحان، والحسن والإحسان، ونعيم القلب والبدن، ويحتمل المعنى أن المهاجر في سبيل الله قد تكفل الله برزقه في الدنيا، رزقاً واسعاً حسناً، سواء علم الله منه أنه يموت على فراشه، أو يقتل شهيداً، فكلهم مضمون له الرزق، فلا يتوهم أنه إذا خرج من دياره وأمواله سيفتقر ويحتاج، فإن رازقه هو خير الرازقين، وقد وقع كما أخبر سبحانه، فإن المهاجرين السابقين تركوا ديارهم وأبناءهم وأموالهم نصرة لدين الله، فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى فتح الله عليهم البلاد، ومكَّنهم من العباد فاجتبوا من أموالها ما كانوا به من أغنى الناس، ويكون على هذا القول، قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان خصوصاً فتح مكة المشرفة، فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين، رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع من إرادة الجميع، وإن الله لعليم بالأمور، ظاهرها، وباطنها، متقدمها، ومتأخرها، حليم يعصيه الخلائق، ويبارزونه بالعظائم، وهو لا يعاجلهم بالعقوبة مع كمال اقتداره، بل يواصل لهم رزقه، ويسدي إليهم فضله[2].

والجنة هي فضل الله تعالى على الصحابة الكرام في الآخرة، وهي المقصود الأعظم والفضل الأوفى الذي جازى به تعالى أصحاب رسول الله ﷺ ، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

(1) انظر، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج447/4.

(2) انظر، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص543.

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، له الحمد على ما يسَّر، وله الشكر على ما امتنَّ به وتفضَّل، بفضله سهَّل كل عسير، وبعونه بلغ الجهد تمامه، فما كان من توفيقٍ فمن الله وحده، وما كان من نقصٍ فمني ومن الشيطان، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الشكر في البدء والمنتهى، وصلَّى الله وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد تضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

أولاً: النتائج

ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1. أرجح التعاريف وأجمعها في تعريف الصحابي أنه: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام.
2. الصحابة رضوان الله عليهم حفظة القرآن الكريم، وهم نقلة السنة النبوية، والشهود على الرسالة السماوية، وهم الذين نذروا أنفسهم في سبيل نشر هذه الرسالة التي امتزجت بها دماؤهم وأرواحهم، مما يوجب لهم فضلاً عظيمًا على كل من جاء بعدهم.
3. اتصف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بجميع صفات الخير والإيمان، فعلينا الاقتداء بهم واتباع آثارهم، فهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، رضوان الله عليهم أجمعين.
4. القرآن الكريم شهد شهادة عالية بما يرفع مقام الصحابة الكرام إلى الذروة، بأنهم اتصفوا بأرفع درجات الإيمان والتقوى، وتحلوْا بسموا الأخلاق.
5. الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هم العمود الأساس في بناء الأمة الإسلامية، فهم الذين انتدبوا لأعظم مهمة ونهضوا بها، وهي قيام دين الله تعالى ونشره.
6. إن صحابة رسول الله ﷺ هم خير جيل عرفته البشرية، وهم أبرز وجوه حضارة الإسلام وأكثرها إشراقاً، وأخلدها ذكراً، وأنبلها أخلاقاً، وهم في القمة ديناً وخلقاً.
7. أن الله تعالى فضل الصحابة في الدنيا على غيرهم بأن اختارهم صحبة لنبيه ﷺ، وجعلهم خير القرون، وفضلهم في الآخرة بما أعد لهم من النعيم المقيم والدرجات العلا في الجنة.

ثانياً: التوصيات

وتشتمل التوصيات على الأمور الآتية:

1. غرس حب الصحابة وجعلهم القدوة في نفوس الناشئة من خلال الدروس العلمية في الجامعات والمدارس.
2. تكثيف النشاط الإعلامي لإبراز صفات الصحابة وفضائلهم في الفضائيات والصحف والمجلات والكتب وشبكة المعلومات العالمية.
3. أتمنى على وزارة التربية التعليم إقرار تدريس بعض الكتب التي تتحدث عن صحابة النبي ﷺ ، مثل كتاب صور من حياة الصحابة والتابعين في المدارس والمعاهد والجامعات، حتى يتربى هذا الجيل على حب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمرجع

- **القرآن الكريم**

أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا، دار إحياء الكتب العربية، (د، م)، ط2، 1369هـ ،1950 م.

أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:1420هـ)، المكتب الإسلامي، (د، م)، (د، ط)، (د، ت).

أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره، الدكتور علي محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر، (د، م)، ط7، 2009م

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ ، 1988م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412 هـ -1992 م.

أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى:630هـ)، المحقق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط1، 1415هـ ،1994 م.

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود؛ وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 1415 هـ ، 1995م.

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، (د، م)، ط15، 2002 م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ.

الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد، نبيل سعد الدين سَليم جَرَّار، أضواء السلف، (د، م)، ط1، 1428 هـ ،2007 م.

البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ضبط وتعليق وتخريج: د.محمد محمد تامر، دار الكتبي،(د، م)، ط4، 1414هـ-1994م.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى:1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د، م)، (د، ط)، (د، ت).

تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د، م)، ط1، 1425هـ-2004م.

التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى:256هـ)، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، (د، ط)، (د، ت).

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر ، تونس، (د، ط)، 1984هـ.

التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق، الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، ط1، 1416 هـ.

التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003 م.

تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى:982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د،ط)، (د،ت).

تفسير الشعراوي "الخواطر"، محمد متولي الشعراوي (المتوفى:1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د، م)، (د، ط)، 1997م.

تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، م)، (د، ط)، 1990م.

تفسير القرآن العظيم "ابن كثير"، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، ط1، 1419 هـ.

تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ،1997م.

التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط)، (د،ت).

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى:333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005 م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ.

التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط10، 1413هـ.

التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422 هـ.

التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، 1998م.

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421 هـ ،2001 م.

التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (المتوفى:879هـ)، دار الكتب العلمية، (د، م)، ط2، 1403هـ ،1983م.

تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى:852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (د، م)، ط1420،1هـ -2000م.

جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى:606هـ)، تحقيق: بشير عيون، طبعة دار الفكر، (د، م)، ط1، 1972م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (د، م)، ط1، 1420هـ ،2000م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ -1964 م.

جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى:321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، د. قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط1، 1423هـ ،2002م.

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى:1335هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، من أعضاء مجمع اللغة العربية، (د، م)، ط2، 1413هـ ،1993م.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى:1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ،1997م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفصل السيد الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى:1394هـ)، دار الفكر العربي، (د، م)، (د، ط)، (د، ت).

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1415هـ - 1995م.

سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د، م)، (د، ط)، 1952م.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395 هـ -1975م.

السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ ،2003 م.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، (د،م)، ط3، 1405هـ ،1985م.

السيرة الحلبية "إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون"، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: 1044هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ.

شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، (د، ط)، 1426هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407 هـ-1987م.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ -1993م.

صحيح أبي داود -الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1423 هـ -2002 م.

صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى:256هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، (د، م)، ط4، 1418هـ ،1997م.

صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ _ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (د، م)، ط1، 1422هـ.

صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبَة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ ،2000م.

صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1، 1417هـ ، 1997م.

الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ -1990 م.

طبقات النسابين، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى:1429هـ)، دار الرشد، الرياض، ط1، 1407هـ ،1987م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه، محب

الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، (د، ط)، 1379هـ.

فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، (د، ط)، 1412هـ ،1992م.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1983م.

فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ ،1983م.

الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط1، 1419هـ ،1999م.

القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426 هـ –2005 م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى:463هـ)، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، (د، ط)، 1357هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ،1415 هـ.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى:1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.

مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا، بيروت، ط5، 1420هـ ،1999م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (د، م)، ط1، 1421هـ ،2001م.

مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى:354هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1411هـ ،1991م.

مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).

معجم الصحابة، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى:351هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1418.

معجم المفسرين "من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر"، عادل نويهض، قدم له، مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1409هـ ،1988م.

معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د، م)، (د، ط)، 1399هـ ،1979م.

معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى:430هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1419هـ ،1998م.

مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى:606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ،1420هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى:885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).

نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:911هـ)، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت،(د، ط)، (د، ت).

نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى:733هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د، ط)، 1399هـ -1979م.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ ،1994م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى:681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د، ط)، 1990م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ...﴾	5	110
(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا...)	125	11
سورة آل عمران		
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ... ﴾	123	115-111
﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ...﴾	124	111
﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا...﴾	125	112-111
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ...﴾	169-171	134-119-118-85-44-16
﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي...﴾	195	41
سورة النساء		
﴿ لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ...﴾	95	76-75
سورة المائدة		
﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ...﴾	54	27
سورة الأنعام		
﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ...﴾	89	40
سورة الأنفال		
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ... ﴾	1	119-14
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ... ﴾	9	121-113-111
﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا...﴾	69	122-121
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ... ﴾	67	122-12
﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	74	33

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة التوبة		
﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ....﴾	19	37
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	20	127-37
﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	40	70
﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ...﴾	43	75
﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ...﴾	71	110
﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا...﴾	88	131-39-38
﴿ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾	123	27
سورة هود		
﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾	73	53
سورة يوسف		
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	18	90
سورة إبراهيم		
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾	7	د
سورة النحل		
﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ...﴾	41	132-42
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا...﴾	110	42
سورة الحج		
﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ...﴾	58	133-43
سورة النور		
﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ...﴾	18-11	44
﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي...﴾	22	71-10
﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ...﴾	26	52
﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ....﴾	37	87-19
سورة الروم		

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	47	71
سورة لقمان		
﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾	15	82-82
سورة الأحزاب		
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ...﴾	4	60
﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ...﴾	6	64
﴿وَإِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ...﴾	10	45
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ...﴾	23	25-15
﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا ...﴾	31	47
﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾	33	56
﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾	34	54
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ...﴾	52	79-9
﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾	53	64
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ...﴾	53	61-59-58
﴿إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ الله كَانَ بِكُلّ شَىْء...﴾	54	63
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	59	66-65-11
سورة الصافات		
﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾	173	71
سورة غافر		
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	19	63
سورة الفتح		
﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾	18	125-31
﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ...﴾	20	108
﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ... ﴾	29	7-1
سورة الحجرات		
﴿ أَلَمْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ ...﴾	15	40

طرف الآية	رقمها	الصفحة
سورة الرحمن		
﴿فِيهِنَّ خيرات حِسَانٌ ﴾	70	39
سورة المجادلة		
﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّون...﴾	22	32
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾	8	36
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ...﴾	9	29
سورة التحريم		
﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ... ﴾	5	95-21-11
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ...﴾	8	129
سورة الحاقة		
﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾	23	67
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ...﴾	10-1	74

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الصفحة
" لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"	د
" وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ..."	11
" اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي..."	12-121
" أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ..."	13
" أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ..."	13
" نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ: أَصَبْتُ سَيْفًا..."	14
" حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ ..."	14
" غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّه..."	15-25
" لَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي: "يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ..."	16
" لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا..."	17
" كُنْتُ قَيْنًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَرَاهِمُ..."	18
" حزنت على من أُصِيب من أَهلِي بِالْحرَّةِ، فَكتب إِلَيّ زيد بن أَرقم..."	19
" كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ..."	19-88
" كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ..."	20
" لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ..."	21
" كُنْتُ عِنْدَهُ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ	22-103

طرف الحديث	الصفحة
يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بِشَيْءٍ..."	
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ.."	25-15
" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ..."	26
" مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا ..."	30
" أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ "	31
" لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ..."	38
" إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ "	64-57
"لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا... "	69
" يَا فُلَانُ أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا..."	74
" أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ "	80-79-9
" اللَّهُمَّ استَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دعاك "	81
" "يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَبِيكَ؟ " قُلْتُ: بَلَى..."	83
" « لما أُصيب إخوانُكم بأحُدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في جَوْفِ طَير..."	118-84
" فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "	87
" كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا... "	88-19
" أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً..."	90
" رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ"	94

طرف الحديث	الصفحة
" بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ... "	95
"أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا "	99
" لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ... "	99
" يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَاتَّقِي اللَّهَ فِيهِ..."	103-22
" هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ..."	112
" أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ..."	115
" لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ..."	118
"اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،..."	126

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	الصفحة
أحمد بن فارس	7
أحمد بن حجر العسقلاني	8
محمد القنوجي	117

تمت بحمد الله وفضله والحمد لله رب العالمين